

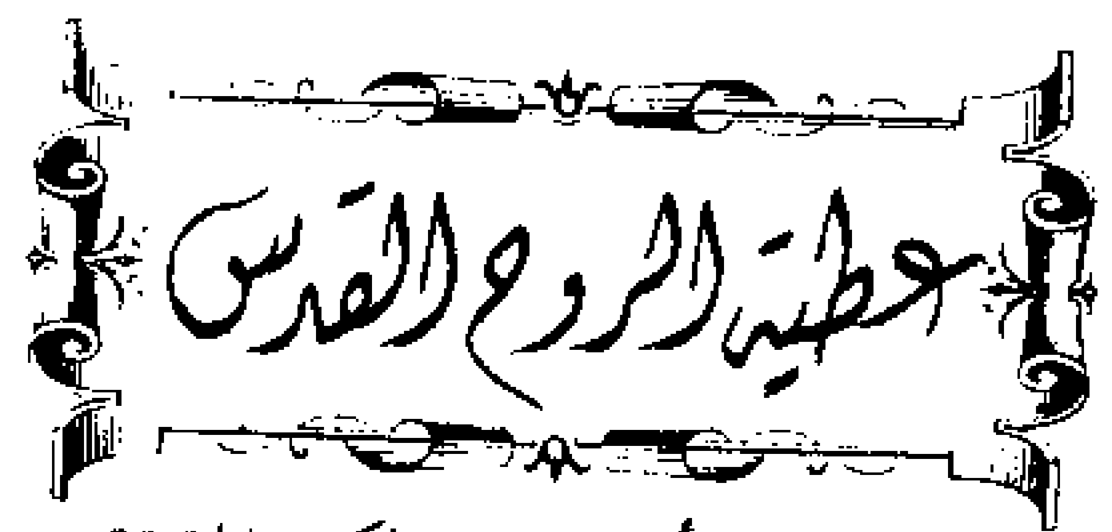
الكنيسة القبطية الارثوذكسية والعقائد

٧

عطية الروح القدس

١٩٩١

القمص تادرس يعقوب



الله ليس مجرد فكرة نؤمن بها أو نعتنقها ، لكنه بالحقيقة هو الحب الأبدى . هذا الحب ليس شيئاً غريباً أو مضافاً إلى شخصه ، لأنه هو نفسه « محبة » ١ يو ٤ : ٨ . الحب يعمل أبداً وباستمرار فى الثالوث القدوس ، يُعلن لنا خلال عناية الآب ونعمة الابن وموهبة الروح القدس .

عمل إلهى واحد

لست أريد الدخول بك إلى مجادلات لاهوتية تخُص وحدة الثالوث القدوس ، أو وحدة جوهر الله وطبيعته ، لكننى هنا أود تأكيد وحدة عمل الثالوث القدوس وتكامله بالرغم من وجود التمايز بينهم ، أعنى أن للآب دوره الخاص فى العمل الإلهى فينا ولأجلنا ، دون انفصاله عن الابن والروح القدس وهكذا كل أقنوم من الأقنومين الآخرين .

يقول **العلامة أوريجانوس** : [لا يوجد فى الثالوث ما يمكن أن يقال إنه أعظم أو أقل ، كما لا يمكن أن يوجد عمل منفصل لأقنوم . **تُعلَن عطية الروح خلال الابن وتعمل خلال الآب** . فالآب والابن والروح القدس ثلاثة فى الأقانيم والعمل ، لكنهم واحد فى الجوهر وفى الحياة ... هكذا بواسطة عمل الآب والابن والروح القدس غير المتوقف فينا والذى يتم خلال مراحل متتابعة يمكننا أن نعاين الحياة المقدسة الطوباوية التى للقديسين[1] .] كما يقول أيضاً : [يستحيل أن تصير لك شركة مع الآب أو الابن دون أن تكون لك شركة مع الروح القدس[2] .]

اعتاد لاهوتيو الاسكندرية أن يعبِّروا عن وحدة الثالوث القدوس فى النعمة الإلهية أو العمل الإلهى بالقول : [**يحقق الآبُ كلَ شيء بالكلمة فى الروح القدس** .] وبتفصيل أكثر يقول **القديس أثناسيوس** : [**توجد نعمة واحدة من الآب تتحقق بالابن فى الروح القدس** ؛ كما توجد طبيعة إلهية واحدة ، وإله واحد الذى هو « فوق الكل وبالكل وفى الكل » أف ٤ : ٦ . هكذا أيضاً بولس عندما قال : « أناشدك أمام الله والرب يسوع » ١ تى ٥ : ٢١ كان قد تحقق أن

الروح غير منفصل عن الابن ، بل هو نفسه فى المسيح ، كما أن الابن هو فى الآب[٣] .]

[ليتعلم ما هو مكتوب فى الأسفار المقدسة ، لأنها تتضمن تصويراً مناسباً وكافياً لهذا الموضوع . يُدعى الآب « الينبوع » و « النور » إر ٢ : ١٣، باروخ ٣ : ١٠ ؛ يو ١ : ٥ ؛ مز ٦٥ : ٩ . مقابل النور يُدعى الابن « البهاء » ، وكما يقول بولس : « الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره » عب ١ : ٣ . كما أن الآب هو النور ، والابن هو بهاؤه ، يلزمنا ألا نتردد فى قول نفس الشيء مرات كثيرة . يمكننا القول بان فى الابن الروح الذى به نستنير : « كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفته ، مستنيرة عيون أذهانكم » أف ١ : ١٧ ، ١٨ . ولكننا عندما نستنير بالروح فإن المسيح الذى فيه هو الذى ينيرنا ، لأنه قيل : « كان النور الحقيقى الذى ينير كل انسان آتياً إلى العالم » يو ١ : ٩ . وأيضاً كما أن الآب هو « الينبوع » ، يُدعى الابن « النهر » ، ونحن مدعوون لنشرب من الروح ، لأنه مكتوب : « لأننا جميعاً سُقينا روحاً واحداً » ١ كو ١٢ : ١٣ . ولكن عندما نستقى من الروح نشرب من المسيح : لأنهم شربوا من الصخرة الروحية التى تابعتهم ، « وكانت الصخرة المسيح » ١ كو ١٠ : ٤ .

إن كان فى الثالوث القدوس مثل هذه الشركة فى العمل والوحدة فمن يقدر أن يفصل الابن عن الآب ، أو الروح عن الابن أو عن الآب نفسه ؟ من يتجرأ فيقول إن فى الثالوث اختلافاً فى الطبيعة ، أو إن الابن مختلف فى جوهره عن الآب ، أو إن الروح غريب عن الابن ؟ لكن كيف يكون هذا ؟

إن تساءل أحد أيضاً ، قائلاً :

كيف إذا حلّ الروح فينا يُقال إن الابن فينا ؟...

كيف إذا كان الابن فينا يُقال إن الآب فينا ؟...

كيف يُوصف الثالوث القدوس أنه واحد ؟...

لماذا متى كان الواحد فينا يُقال إن الثالوث فينا ؟...

من يسأل هكذا دعه أولاً يفصل البهاء عن النور ، أو الحكمة عن الحكيم ، وبعد ذلك يقول لنا : كيف تكون هذه الأمور ؟

يوجد تقديس واحد يصدر عن الآب بالابن فى الروح القدس .

تُعطى مواهب الروح لكل واحد من الآب بالكلمة ، لأن كل ما للآب هو للابن أيضاً . لهذا فالأمور الموهوبة لنا من الآب فى الروح هى عطايا الآب نفسه . وإذا كان الروح فينا يكون الابن كذلك فينا ، هذا الذى يعطى الروح ، وفى الابن يوجد الآب أيضاً . لذلك قيل : « نأتى (أنا والآب) وعنده نصنع منزلاً » يو ١٤ : ٢٣ . لأنه حيث يوجد النور يكون البهاء أيضاً ، وحيث يكون البهاء هناك يوجد نشاطه ونعمته البارقة . هذا ما يعَلِّم به الرسول أيضاً عندما كتب إلى أهل كورنثوس فى رسالته الثانية ، قائلاً : « **نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس تكون معكم جميعاً** » ٢ كو ١٣ : ١٣ . لأن هذه النعمة أو العطية معطاة من الثالوث : من الآب بالابن فى الروح القدس .

ولما كانت النعمة معطاة من الآب بالابن ، لهذا ليس لنا شركة فى الموهبة إلا فى الروح القدس . لأنه حينما تكون لنا شركة فى الروح يكون لنا حب الآب ونعمة الابن وشركة الروح نفسه .

يبيِّن هذا الاعتبار أن عمل الثالوث واحد . لا يقصد الرسول أن الأمور الموهوبة (لنا) مختلفة ومنفصلة حسب كل أقنوم ، إنما يعنى أن كل ما يوهب إنما بالثالوث ذاته ، فالكل هو من الله الواحد[٤] .]

يرى **القديس ديديموس الضرير** أن مؤمنى العهد القديم قد قبلوا النعمة من [الروح غير المنفصل عن الآب والابن[٥] .] يقول أيضاً : [وفى العمل ، الروح واحد مع الآب والابن ؛ وتتضمن وحدة العمل هذه وحدانية الجوهر[٦] .]

عطية الروح القدس

أعلن ربنا فى لقاء خاص مع المرأة السامرية عن عطية الروح القدس الإلهية ، قائلاً : « لو كنتِ تعلمين عطية الله ، ومن هو الذى يقول لكِ اعطينى لأشرب لطلبتِ أنتِ منه ، فأعطاكِ ماءً حياً ... مَن يشرب من الماء الذى أعطيه أنا يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية » يو ٤ : ١٠ ، ١٤ .

وقد أعلن ربنا هذا الوعد علانية ، قائلاً : « من يؤمن بى ، كما قال الكتاب ، تجرى من بطنه أنهار ماء حىّ » يو ٧ : ٣٨ .

وقد قال القديس بطرس عندما تحقق هذا الوعد فى يوم الخمسين : « توبوا وليعتمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس » أع ٢ : ٣٨ .

والآن ، ماذا تعنى عطية الروح القدس ؟

فى كتابىّ الأخيرين [عن العناية الإلهية وعن النعمة الإلهية] أوضحتُ أن النعمة فى جوهرها هى عطاء الله ذاته. أُعلن هذا فى عمل ابن الله المتجسد الخلاصى؛ خلال هذا العمل الإلهى أُعطى الروح القدس فى يوم الخمسين للكنيسة لا كعطية جديدة، وإنما بفيض جديد، وبطرق جديدة، وبثمار جديدة مجيدة[7]. فالروح الذى ليس غريباً عن الآب والابن، لأنه روحهما الذى لا ينفصل عنهما قد عمل فى حياة رجال العهد القديم من حين إلى آخر؛ هذا بعينه حلّ على الكنيسة، يسكن فى نفوس أعضائها، واهباً إياها الشركة مع الله أبيهم لينعموا بشركة الحياة الإلهية. هذه العطية بالحق هى عطاء الله ذاته أو هى نعمة الله.

يوضح **القديس كيرلس الكبير** دور الروح القدس فى كنيسة العهد الجديد بأكثر تفصيل ، فيقول بإن الطبيعة البشرية قد أصابها الفساد فى الانسان الأول ، آدم ، وحُرم كل الناس من الفردوس ومن روح الله مصدر حياتهم وصلاحهم . لذلك أثرى الابن الذى أخذ ناسوتنا طبيعتنا وذلك بروحه القدوس ، إذ لا ينفصل قط عن الروح القدس بكونه روحه ، وواحداً معه فى ذات الجوهر . بواسطة تجسدالابن وبعمله الخلاصى لأجلنا، يجدد الروح القدس طبيعتنا البشرية، ويحيا فى نفوسنا ، ويقودنا إلى حضن الآب[8] .

+ عندما صار كلمة الله انساناً ، تقبل الروح القدس من الآب كواحد منا (لم يأخذ الروح لنفسه شخصياً ، إذ هو واهب الروح) ؛ ذلك لأن الذى لم يعرف خطية يمكنه باقتناء الروح كانسان أن يحفظه لطبيعتنا ، وأن يعيد إلينا النعمة التى فارقتنا . لهذا السبب فإننى أعتبر المعمدان القديس قد أضاف :

« رأيت الروح نازلاً من السماء وحلّ عليه » يو ١ : ٣٢ ، لأنه قد هرب الروح منا بسبب الخطية ، غير أن ذاك الذى لم يعرف خطية صار كواحدٍ منا حتى يعتاد الروح البقاء فينا إذ لا يجد سبباً لمفارقته أو الانسحاب منه .

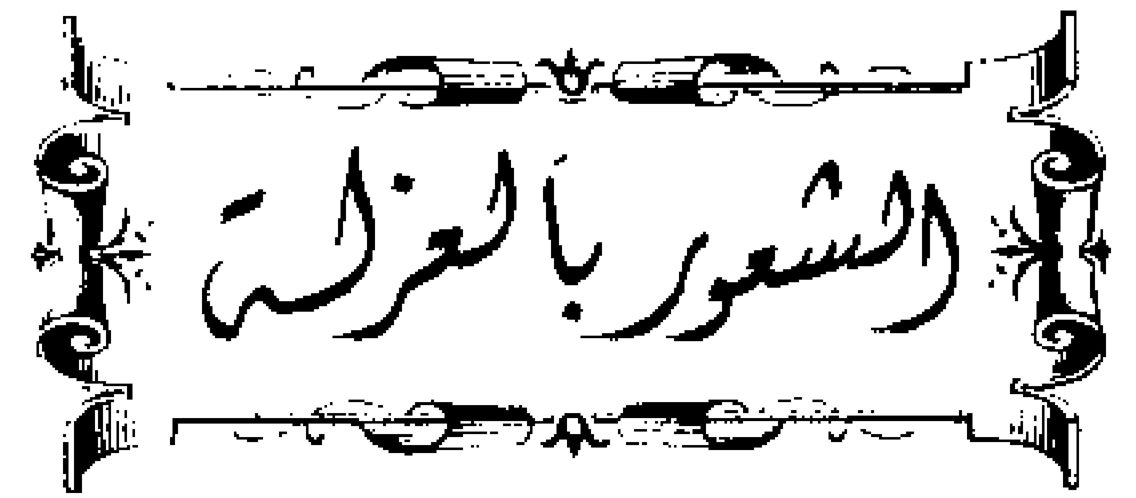
وعلى هذا فإنه خلال نفسه يستلم الروح لأُجلنا ، ويرد لطبيعتنا الصلاح القديم ؛ لذلك قيل عنه : « من أجلنا افتقر » ٢ كو ٨ : ٩ .

وهو أيضاً يقبل الروح لأجلنا لكى يقدس طبيعتنا كلها ، لأنه لم يأتِ لينتفع شيئاً لنفسه ، وإنما ليكون الباب والبداية والطريق لكل الخيرات السماوية لنا جميعاً .

ولأن له روحه فيه جوهرياً ، قيل عنه إنه قَبِلَ الروح كإنسان ليحفظ للناسوت كياناً لائقاً فيه[٩] .

القديس كيرلس الكبير

+ + +



الشعور بالعزلة

كثيراً ما يثير علماء النفس السؤال التالى ، خاصة عندما ينتحر شخص له شهرته : لماذا ترتفع نسبة المنتحرين بصفة خاصة بين الأشخاص ذوى الشهرة (كالممثلين) مع أنهم ليسوا فى حاجة إلى شىء ، وهم يحظون بإعجاب الكثيرين وتقديرهم ، ناهيك عن مهارتهم ومواهبهم ؟

ففى شتاء سنة ١٩٦٩ إنذهل ليو بوسكاجليا ، أستاذ التربية فى جامعة جنوب كاليفورنيا ، عندما انتحرت طالبة ذكية رقيقة المشاعر . قال إنها كانت من عائلة كريمة ، تنتمى إلى الطبقة فوق المتوسطة ، وكانت متفوقة فى دراستها ، محبوبة ، جذابة ، حية ، سريعة الاستجابة ، مملؤة بالآمال ، وكانت فى العشرين من عمرها(١) .

وعندما انتحرت المغنية المشهورة دولياً « داليدا » وهى من أصل مصرى ، عام ١٩٨٧ ، علق بعض علماء النفس على هذه الظاهرة ، قائلين بإن الكثيرين من النجوم والفنانين المشهورين يعانون من الرغبة فى الموت(٢) .

إنها مشكلة الشعور بالعزلة الذى يحطم الشخص ، لأن حياته الداخلية تعانى من الفراغ حتى وإن بدت ظروفه الخارجية ممتازة .

هذه هى مشكلة البشرية كلها بوجه عام ، فالانسان يحتاج إلى « كائن » يكون بالقرب منه جداً ، يلاصقه ، يحبه لأجل شخصه ، لا لينتفع منه أو يستغله ، قادر أن يتعرف على مشاعره الخفية وعواطفه ورغباته وضعفاته وأفكاره ومفاهيمه ومقاصده الخ ... يشجعه ويسنده . هذا الكائن لا يمكن العثور عليه بين بنى البشر ، لذا كثيراً ما يشعر الانسان بالعزلة .

خلق الله المرأة معيناً للرجل (تك ٢ : ١٨) ، لكن سرعان ما أصبح كل من الرجل والمرأة فى حاجة إلى عون ، إذ صار الإثنان يعانيان من العزلة . احتاج داود النبى والملك أيضاً إلى من يعينه فقد تركه والده (مز ٢٧ : ١٠) ، إذ لا يستطيع الوالدان أن يشبعا احتياجات الانسان الداخلى .لهذاكله قدَّم السيد المسيح لتلاميذه هذا الوعد :

« خير لكم أن أنطلق ؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ؛ ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ...

فهو يرشدكم إلى جميع الحق ...
ويخبركم بأمور آتية ...
لأنه يأخذ مما لى ويخبركم » يو ١٦ : ٧ــ١٥ .

عطية الروح القدس الإلهية (أع ٢ : ٣٨) لها القدرة على انتزاع الشعور بالعزلة من قلوب المؤمنين ونفوسهم وعقولهم ، بسكناه فى داخلهم . هذه هى بحق نعمة الروح القدس التى تتكامل مع نعمة الآب والابن . إنها عناية الآب الذى يرسل الروح القدس ليسكن وسط الكنيسة وفى داخل أعضائها . وقد دفع السيد المسيح المصلوب الثمن ، دمه الثمين ، لمصالحتنا مع الآب ، وبهذا صرنا مستأهلين قبول الروح القدس المعزى .

والمؤمن بهذه النعمة لا يشعر قط بالعزلة ، حتى إن تخلَّى العالم كله عنه ، أو إن عُزل فى كهف أو زنزانة ، إذ يقتنى الباراكليت (المعزى) فى داخله ؛ ولا يستطيع أحد أن يفصله عنه .

لم يشعر **القديس أثناسيوس** بالعزلة قط حتى عندما قيل له بان العالم كله ضده ؛ لأنه كان يقتنى الروح القدس فى حياته الداخلية . وتكرر نفس الأمر مع **القديس أنبا أنطونيوس الكبير** ، فعندما سأله بعض الفلاسفة عن سبب فرحه بالرغم من معيشته فى مغارة وحيداً فى الجبل ، ليس له من يعينه أو يطيِّب خاطره ، وبالرغم من عدم اقتنائه شيئاً من مقتنيات هذا العالم . أجابهم انه يقتنى الله نفسه الذى يملأ قلبه ومغارته . هذا هو عمل الروح القدس فى حياة المؤمنين الحقيقيين .

الروح القدير

إذ اعتاد السيد المسيح القائم من الأموات أن يَظهر لتلاميذه فى فترة الأربعين يوماً ما بين قيامته وصعوده تزايدت رغبتهم فى الشهادة له . لكنه طلب منهم أن يلبثوا فى أورشليم ولا يبدأوا كرازتهم حتى يلبسوا الروح القدس القدير لكى يرشدهم ويقويهم فى العبادة والكرازة (أع ١ : ٤،٨) .

والروح القدس ليس مجرد قوة أو طاقة إلهية ساعدت التلاميذ ، لكنه أقنوم إلهى يسكن فى الكنيسة يعزيها ويعلمها ويرشدها .

إنه يمنحنا الشركة مع الآب والابن ، فنأخذه قوة للحوار مع الثالوث القدوس ، وننعم بعلاقة وثيقة دائمة . هذه هى الوسيلة الوحيدة التى بها يمكن للانسان أن يمتلىء داخلياً ، ويمكنه بها أن يفيض بالعزاء والسلام على الغير . لهذا يقول القديس يوحنا : « وفى اليوم الأخير العظيم من العيد ، وقف يسوع ونادى ، قائلاً : إن عطش أحد فليقبل الىّ ويشرب . من آمن بى — كما قال الكتاب — تجرى من بطنه (قلبه) أنهار ماء حىّ . قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه » يو ٧ : ٣٧—٣٩ .

يقول آرثر واينرايت : [يوجد فى سفر الأعمال ٦٢ إشارة إلى الروح ؛ وفى ١٨ مرة منها يُوصف الروح بعبارات توحى بكونه شخصاً (أقنوماً) يتكلم (١: ١٦؛ ٨: ٢٩؛ ١٠: ١٩؛ ١١: ١٢؛ ١٣: ٢؛ ٢٨: ٢٥)، وينهى (١٦: ٦)، ويفكر بالصلاح (١٥: ٢٥)، ويعيِّن (٢٠: ٢٨)، ويرسل (١٣: ٤)، ويشهد (٥: ٣٢؛ ٢٠: ٢٣)، ويخطف (٨: ٣٩)، ويمنع (١٦: ٧)، ويُكذب عليه (٥: ٣)، ويُجرَّب (٥: ٩)، ويُقاوَم (٧: ٥١، ٦: ١٠). ومعظم الإرشادات الأخرى تصف كيف امتلأ أناس من الروح (٢: ٤؛ ٤: ٨؛ ٩: ١٧؛ ١٣: ٩)، يعملون بالروح أو فى الروح (١: ٤؛ ١٩: ١٢). وبالرغم من أن هذه الإرشادات لا تحوى فى ذاتها إن الروح القدس شخص (أقنوم) ،لكنها لا تتناقض مع التأثير والطابع العام الذى تعطيه العبارات الأخرى . ويتحدث بولس أيضاً عن الروح كما لو كان شخصاً (أقنوماً) : فيقول إن الروح يحزن ، ويشهد ، ويصرخ ، ويقود ، ويشفع فينا (رو ٨ : ١٤ ، ١٦ ، ٢٦ ؛ غلا ٤ : ٦ ؛ أف ٤ : ٣٠[٣] ...]

+ فى يوحنا ٣ : ٨ الروح جوهر ؛ إنه ليس كما يزعم البعض مجرد طاقة أو قدرة إلهية ، بلا أقنومية ذاتية متميزة .

+ الروح هو كائن له وجوده وليس مجرد طاقة ، وإن كان له صبغة القدرة[٤] .

العلامة أوريجانوس

+ الروح القدس فى العهد الجديد هو نفسه الروح القدس للعهد القديم ... إنه اصبع الله ، الختم الذى يطبع الصورة الإلهية على النفس البشرية . لكنه ليس مجرد قوة عاملة ، بل أقنوم إلهى . إنه منبثق من الآب ، ومُرسل بواسطة الابن ، لا كما يُرسل الملائكة أو الأنبياء ، بل غير منفصل عن ذاك الذى يرسله . وإذ يُرسل لا ينتقل من موضع إلى آخر كما يحدث مع الأجساد البشرية ؛ إنه غير منفصل عن الآب والابن. انه « المعزى الآخر »، لذا فهو متميز عن الابن فى طريقة عمله ، لكن ليس له طبيعة مغايرة عنه[٥] .

القديس ديديموس الضرير

ثالوث حب

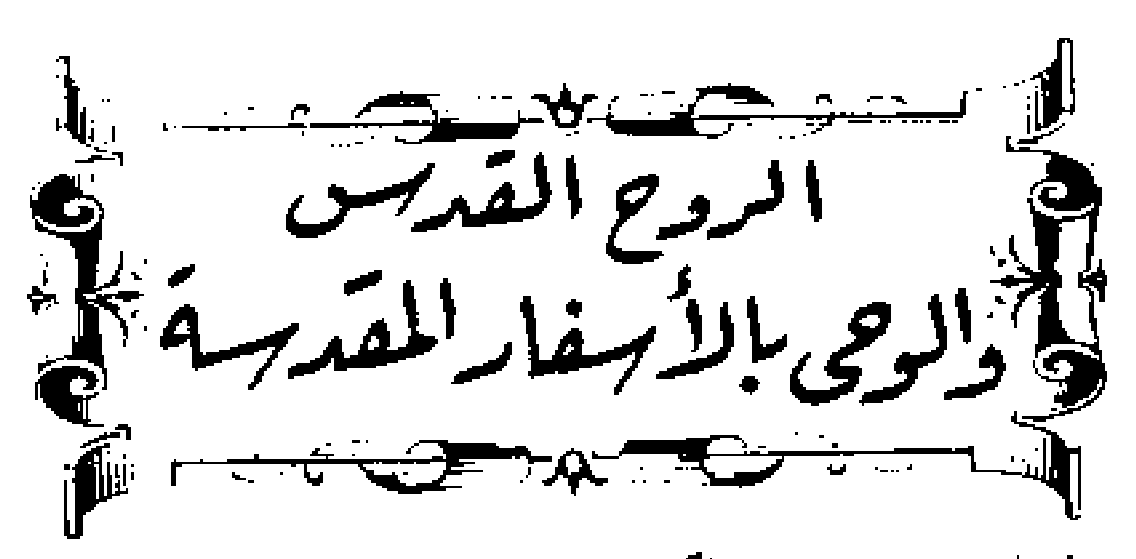
قدّمت الكنيسةُ الأولى خبرتها مع الثالوث القدوس بكونه « ثالوث الحب » ؛ فالإنسان فى حاجة إلى حب خالد قادر أن يملأ الحياة الداخلية ، ويرفع الانسان إلى ما فوق الزمان والمكان ليختبر الحياة الإلهية . فالمناقشات لا تقدر أن تملأ نفس الانسان ، والوصايا الإلهية (دون الالتقاء بالله نفسه) لا يمكنها أن تمنح الحياة ، لكن الحب هو الذى يُعزّى الانسانَ أبدياً .

إننا فى حاجة إلى الروح القدس أن يسكنَ فى داخلنا ليعلن لنا أن الله « حب » ١ يو ٤ : ٨ ، لا خلال كلمات وأفكار لاهوتية ، وإنما بوجود الحب الإلهى نفسه فى داخلنا .

+ يلزمنا أن نتحقق ماذا يجب أن يُقال عن (هذا) الحب ، وأيضاً أية أشياء جليلة نحتاج أن نقولها عن الله مادام هو نفسه « الحب » ، ليس أحد يعرف الابن إلا الآب ، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابنُ أن يعلن له » مت ١١ : ٢٧ ؛ هكذا لا أحد يعرف الحب إلا الابن . بنفس الطريقة لا يعرف أحدٌ الابنَ الذى هو نفسه « الحب » إلا الآب . أضف إلى هذا وبنفس الطريقة إذ يُدعى « الحب » ، فإن الروح القدس المنبثق من الآب وحده يعرف أعماق الله ، كما أن روح الإنسان يَعرف ما فى الإنسان (١ كو ٢ : ١١) . إذن فالباراكليت ، روح الحق ، المنبثق من الآب (يو ١٥ : ٢٦) يجول باحثاً عن النفوس المستحقة ، التى تقدر أن تقبل عظمة هذا الحب الذى هو الله ، والذى يرغب فى أن يعلنه لهم[٦] .

العلامة أوريجانوس

+ + +



الروح لا يتجاهل شخصية الكاتب

تتركز نعمة الأسفار المقدسة وقوتها فى منحنا الشركة مع الآب بالابن . فالوحى بالأسفار المقدسة بالروح القدس (٢ تى ٣ : ١٦ ؛ ٢ بط ١ : ٢١) ضرورى لتحقيق هذا الهدف الإلهى . والروح القدس يُحىّ وينشط الكلمات البشرية التى يهبها الله لشعبه لكى يكونوا أكثر استعداداً لفهم وقبول إعلانات الله (١ كو ٢ : ٩ــ١١) . تُعلَن كلمة الله لواضعى الأسفار دون تجاهل لملكاتهم ؛ هدفها ليس فقط أن تبهج عقولهم وإنما أن تشغلهم أيضاً فى حوار شخصى مع الله حتى يتعرفوا على أسراره الإلهية ويشتركوا فى حياته .

يمكننا الآن تلخيص فكر كنيسة الاسكندرية فيما يتعلق بالموهبة الإلهية التى للروح القدس فى النقاط التالية :

١ــ اعتبر أثيناغوراس ــ من رجال القرن الثانى ــ أن الأنبياء (وكتّاب العهد القديم) كانوا يتنبأون وهم فى حالة نشوة ، كما لو كان الروح ينفخ فيهم بنفس الطريقة التى ينفخ فيها الموسيقار فى المزمار .

ولقد استخدم كثير من آباء الكنيسة فى الشرق والغرب ، هذا التشبيه ، ولكن آباء الإسكندرية رفضوا صراحة فكر أن الروح القدس يمسك بزمام الكتّاب ، وأن الأخيرين كانوا يفقدون وعيهم ، فلا يتكلمون من أنفسهم بل يتكلم الله خلال شفاههم . ويؤكد **العلاّمة أوريجانوس** أن عمل الروح القدس هو أن يجعل الكتّاب فاهمين الحق الإلهى بوضوح أكثر دون تجاهل لحرية إرادتهم أثناء ذلك[١] .

ويرى **القديس كيرلس الكبير** أن للكتّاب دوراً شخصياً فى الجانب الأدبى الواقعى لكتاباتهم[٢] . بمعنى انهم عندما كتبوا كانوا فى حالة وعّى عادية ، وفى كامل قواهم وملكاتهم ؛ وفى نفس الوقت أكدّ أنهم كتبوا الكلمات الموحى بها من الله وليست كلماتهم الخاصة .

ويؤكد أيضاً **القديس أثناسيوس** أن ما كتبوه هو كلمة الله ، مكتوبة بالروح القدس .

+ طبقاً لما هو مكتوب « قول الرب الذى صار إلىّ » ، أى إلى نبى معين (ميخا ١ : ١ ؛ إر ١ : ١) ، كان النبى يتنبأ فى الروح القدس . مكتوب فى زكريا : « ولكن كلامى وفرائضى التى أوصيت بها عبيدى الأنبياء » ١ : ٦ . وعندما وبّخ النبى الشعب ، قال : « بل جعلوا قلوبهم ماساً (عاصية) لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذى أرسله رب الجنود بروحه عن يدّ الأنبياء الأولين » زك ٧ : ١٢ . ويقول بطرس فى سفر الأعمال : « أيها الإخوة ، كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقاله بفم داود الخ ... » أع ١ : ١٦ (اقتبس أيضاً كلمات القديس بولس فى أع ٢٨ : ٢٥ ؛ ١ تى ٤ : ١)[٣] ...

القديس أثناسيوس الرسولى

٢ــ تَبنّى آباءُ الاسكندرية ، خاصةً أوريجانوس التفسيرَ الرمزىَ للكتاب المقدس ، متطلّعينَ إليه بكونه مُوحى به من الروح القدس لبنياننا ، وأن الكتاب لا يحوى شيئاً زائداً غير ضرورى . يقول **العلامة أوريجانوس** : [لا توجد نقطة واحدة ولا حرف واحد مكتوب فى الكتاب المقدس لا يؤدى عمله الخاص مع أولئك القادرين على استخدامه[٤] .]

٣ــ الفهم الرمزى أو الروحى للكتاب المقدس هو نعمة من الروح القدس ، تُعطى للمؤمنين الكاملين لكى يدخلوا حجال الزواج الأبدى الذى يقوم بين المسيح ونفوسهم ، حتى يتمتعوا بالحكمة الإلهية وأسرارها ، فالروح هو مانح المعرفة والحكمة .

+ يُظهر الإنجيل (الروح القدس) بهذه المقدرة والجلال حتى أنه يقول إن الرسل لم يكونوا قادرين على تقبل هذه الأمور التى أراد المُخلّص تعليمهم إياها حتى جاء الروح القدس ؛ فهو القادر أن يسكب نفسه فى نفوسهم ، وينيرهم ، فيما يتعلق بطبيعة الثالوث القدوس والإيمان به[٥] .

+ [يقتبس هنا مز ١٨ : ١١ : « جعل الظلمة ستره »]

بذلك أوضح أن الأفكار الخاصة عن الله والمعلنة أمام الفهم الانسانى حسب استحقاقاتهم ، ليست أكيدة وواضحة تماماً ؛ إذ يخفى الله نفسه فى ستار الظلام عن أولئك الذين لا يمكنهم رؤيته . يخفى نفسه جزئياً بسبب علم نقاوة أذهانهم المرتبطة بجسد الاتضاع البشرى (فى ٣ : ٢١) وبسبب محدودية قدرتهم على فهم الله ... لذلك قد يتحدث النبى عن أعماق عقائد تخص الله تتجاوز فهم النفس المغلقة والمختومة (إش ٢٩ : ١١) ... فإن لم يوضح الروح أسرار كلمات النبى لا يمكن أن يُفتح الحق المخفى[٦] .

+ لم توضَح الأُسفار المقدسة بأية كلمات بشرية ، وإنما كُتبت بوحى من الروح القدس ، وسُلمت أيضاً وأؤتمنوا عليها بإرادة الله الآب بابنه الوحيد يسوع المسيح[٧] ...

+ لا يمكن لأى نفس أن تقتنى كمال المعرفة بأية طريقة إلا بوحى الحق الذى للحكمة الإلهية[٨] .

+ إننا نصلى حتى يشرقَ فى قلوبنا نورُ معرفة مجد الله (٢ كو ٤ : ٦) بروح الله الساكن فينا ، والذى يجعلنا قادرين على تصور وفهم ما لله : « لأن كل الذين ينقادون بروح الله فاؤلئك هم أبناءُ الله » رو ٨ : ١٤[٩] .

+ الروح يبحث كلَ شيءٍ حتى أعماقَ الله (١ كو ٢ : ١٠) ، أما روحُ الانسان فلا يقدر أن يبحث « كل شيء » ، لهذا فإننا فى حاجةٍ إلى الروح فى داخلنا حتى نبحثَ فى رفقته كلَ شيء حتى أعماقَ الله[١٠] .

+ مهمةُ الكاهنِ الصحيحة مزدوجةٌ : أن يتعلمَ من الله خلال القراءة والتأمل الدائم فى الكتاب المقدس ، وأن يعلّمَ الناسَ . ليتَه يُعلّم ما يتعلمه من الله ، وليس ما يتعلمه « من قلبه » حز ١٣ : ٢ ، أو « من الفهم البشرى » ؛ بل ما يعلمه الروح ... وهكذا إذ نتأمل (فى قصص العهد القديم) ونستعيدها نهاراً وليلاً ، مع الصلاة لله كى يعلن لنا المعرفة الحقيقية لما نقرأه ، وأن يكشف كيف نحفظ الناموس الروحى ، فى فهمنا كما فى سلوكنا ، بهذا نتأهل أن نقتنى النعمة الروحية ونستنير بناموس الروح القدس[١١] .

+ إن تأمل أحد ما فى ناموس الرب نهاراً وليلاً (مز ١ : ٢) ؛ إن شابه انسان

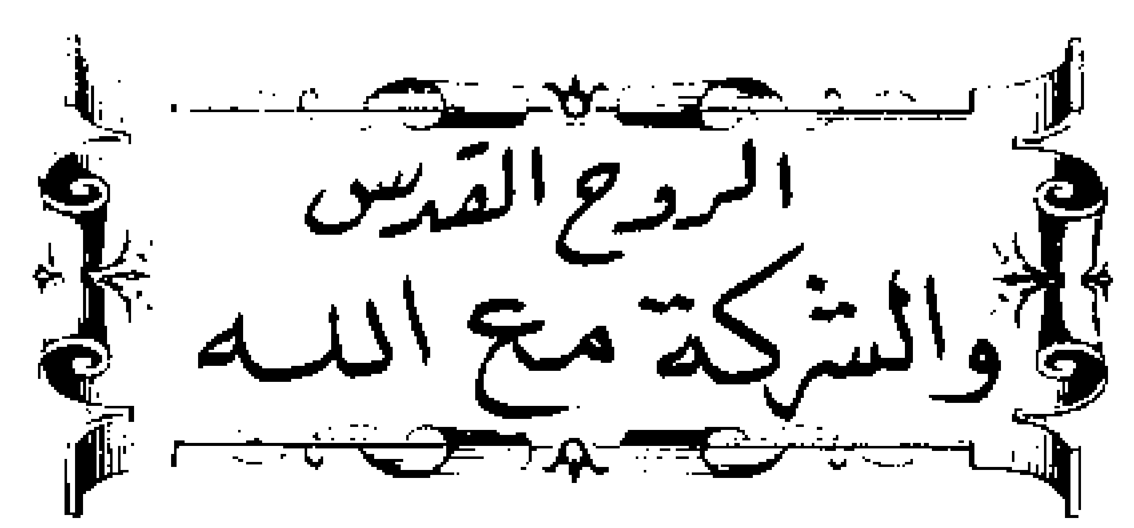
ما فمَ البار الذى يلهج بالحكمة (مز ٣٧ : ٣٠) ، يستطيع أن يفحص هذه الأمور ويكتشفها بأكثر وضوح ، بشرط أن يبحث بالطريقة الصحيحة ، قارعاً باب الحكمة الإلهية ، وطالباً أن يُفتح له ، حتى يتأهل أن يأخذ كلمات المعرفة والحكمة ويفهمها بالروح ، وأن يستحق أن يشترك فى « الحكمة » القائل : « هأنذا أبسط كلماتى وليس من يُبالى » (راجع أم ١ : ٢٣ـ٢٤ ؛ كو ٤ : ٣)[١٢] .

+ تُعلن كل معرفة الآب بواسطة الابن ، وتُقتنى بالروح القدس ... يلزمنا أن نعرف أنه كما أن الابن وحده يعرف الآب ، ويُعلن ذاته لمن يريد (مت ١١ : ٢٧) ، وهكذا الروح القدس الذى وحده « يبحث أعماق الله » ١ كو ٢ : ١٠ ، يعلن الله لمن يريده[١٣] .

العلامة أوريجانوس

لقد تسلَّم العلَّامةُ أوريجانوس هذا الفكر عن معلمه **القديس اكليمنضس**[١٤] الذى يقول إن فهم الأسفار المقدسة ليس للجميع بل للغنوسيين (أصحاب المعرفة الروحية) المُرشدِّين بالروح القدس واهب المعرفة .

+ + +



يقول **أثيناغوراس** : [إن الابن فى الآب ، والآب فى الابن ، فى وحدة الروح وقوته[١] .] لذلك يمكننا القول بان الروح القدس هو روح « الوحدة » ، لأنه روح الآب والابن اللذين هما واحد فى الجوهر وفى الطبيعة الإلهية .

نحن فى حاجة إلى الروح القدس لكى يهبنا الإتحاد مع الآب بالابن . حقاً إن ربنا يسوع المسيح هو الطريق الوحيد الذى يقودنا إلى هذا الإتحاد ، لأنه قدَّم دمه المقدس ثمناً لها ، لتتحقق هذه الوحدة بواسطة روحه القدوس .

+ من المستحيل أن نصبح شركاء مع الآب أو الابن بدون الروح القدس[٢] .

+ عمل الله هو أن يحل بصورة غير منظورة بروحه (الذى هو) روح المسيح ، فى أولئك الذين يراهم مستأهلين أن يحل فيهم[٣] .

العلامة أوريجانوس

+ الله حال فى كل واحد من (خلائقه) بسخائه ونعمته بروحه[٤] .

القديس انبا أنطونيوس الكبير

+ إننا نصبح فيه وهو فينا بسبب نعمة الروح القدس التى فينا . ومادام الروح هو روح الله ، لذلك فإننا إذ نقتنيه نُحسب فى الله ، ويكون الله فينا .

خارج الروح نحن متغربون عن الله وبعيدون عنه ؛ وبشركة الروح نتحد مع اللاهوت ؛ وعلى ذلك فوجودنا فى الآب ليس من ذواتنا فحسب وإنما بالروح الذى يسكن فينا ويثبت فينا ...

إرادته هى أن نقبل الروح ، فإننا إذ نقبله نقتنى روح الكلمة الذى هو فى الآب . وبسبب الروح يمكننا أيضاً أن نحسب أنفسنا أننا صرنا واحداً فى الكلمة ، وبه نتحد مع الآب[٥] .

القديس أثناسيوس الرسولى

+ يشاهدُ انسانٌ طائراً يطير ، فيشتهى أن يطير هو أيضاً لكنه لا يستطيع إذ ليس له أجنحة . هكذا الإرادة حاضرة (رو ٧ : ١٨) عند الانسان ليكون نقياً ، بلا لوم ، ولا دنس ولا شر فى داخله ، وأن يكون مع الله على الدوام ؛ لكنه لا يملك القوة . قد توجد الإرادة والرغبة فى الطيران فى فضاء الله وحرية الروح القدس ، لكن ما لم تُعط الأجنحة لا يمكن تحقيق ذلك . إذن ، لنتضرع إلى الله حتى يمّن علينا بأجنحة الحمامة ، التى للروح القدس ، فنطير إليه ونستريح (مز ٥٥ : ٦) . إنه ينتزع عن أنفسنا وأجسادنا ريح الشر التى هى الخطية الساكنة فى أعضاء نفوسنا وأجسادنا . ليس من يقدر أن يصنع ذلك غيره .

+ أما عن الثوب الذى يرتديه المسيحيون ، فمن الواضح أن الروح نفسه هو الذى يُلبسهم إياه فى اسم الآب والابن والروح القدس إلى الأبد .

القديس مقاريوس الكبير[٦]

لهذا تنسب الكنيسة القبطية « الشركة مع الله » إلى الروح القدس . وكما يقول **القديس أثناسيوس** : [عندما تكون لنا شركة معه يكون لنا حب الآب ونعمة الابن وشركة الروح ذاته[٧] . وفى **القداس الاغريغورى القبطى** ، يقول الكاهن : [محبة الله الآب ، ونعمة الابن الوحيد ربنا ...، وشركة وموهبة الروح القدس .]

الشركة مع الآب

خلال نعمة الآب أو خلال عطائه ذاته لنا ننال روحه ليكون لنا ويسكن فينا . يقول **العلامة أوريجانوس** : [يعطى الله دائماً شركة روحه لأولئك الذين يستطيعون الشركة معه[٨] .]

فى نفس الوقت إنها نعمة الروح التى تهبنا بسكناه فينا التبنى للآب ، لكى نجد لنا موضعاً فى حضنه ، ويمكننا أن نشاركه فى الطبيعة الإلهية وفى أمجاده الأبدية .

الشركة مع الابن

إذ نقبل الروح القدس فينا فإننا فى الحقيقة نقبل يسوع المسيح نفسه ، إذ لا يمكن فصله عن روحه . لهذا وعد ربنا كنيسته أن تقبل الروح القدس أن يسكن

فيها (يو ١٦ : ٧) ، وفى نفس الوقت يعدها الروح القدس لتقبل يسوع المسيح كعريس سماوى لها (رؤ ٢٢ : ١٧) .

+ عندما يُعطى لنا الروح القدس (يقول المخلص : « اقبلوا الروح القدس ») ، يحل الله فينا ، وكما يقول يوحنا : « إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا ... بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه » ١ يو ٤ : ١٢—١٣ . وعندما يكون الله فينا ، يكون الابن أيضاً فينا . إذ يقول الابن نفسه : « إليه نأتى (الآب وأنا) وعنده نصنع منزلاً » يو ١٤ : ١٣ . علاوة على هذا فإن الابن هو الحياة ، إذ يقول : « أنا هو الحياة » ١ يو ١٤ : ٦ ، ونقول إننا نحيا بالروح ، إذ قيل : « الذى أقام المسيح من الأموات سيحيى أيضاً أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم » رو ٨ : ١١ . لكن عندما نحيا بالروح فالمسيح نفسه يحيا فينا ، إذ يُقال : « لقد صُلبت مع المسيح فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ » . ويعلن الابن أن الآب يعمل الأعمال التى يعملها هو ، إذ يقول : « الآب الحّال فىّ يعمل أعماله ؛ صدقونى إنى فى الآب والآب فىّ ، وإلا فصدقونى لسبب أعماله نفسها » (راجع يو ١٤ : ١٠—١٢) . لذلك يصرِّح بولس أن الاعمال التى صنعها بقوة الروح هى أعمال المسيح : فإننى لا أجرؤ أن اتكلم عن شيء إلا ما عمله المسيح فىّ لأجل اطاعة الأمم بالكلمة والعمل بقوات ومعجزات فى قوة الروح[٨] .

+ إنه بالروح يُقال إننا شركاء مع الله ، إذ يُقال : « أما تعلمون انكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم ؟! إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله ، لأن هيكل الله مقدس الذى أنتم هو » ١ كو ٣ : ١٦—١٧ . فإذا كان الروح القدس مخلوقاً لا تكون لنا شركة مع الله فيه . فإن كنا بالحقيقة مرتبطين بمخلوق بالضرورة نكون غرباء عن الطبيعة الإلهية ، لأننا لا نشترك فيها . لكننا فى الحقيقة نحن مدعوون شركاء مع المسيح وشركاء مع الله ، هذا يُظهر أن المسحة (والختم) التى فينا تنتمى لا إلى طبيعة الأشياء التى لها بداية بل إلى طبيعة الابن فى (الآب) بالروح ، ويربطنا بالآب . هذا ما علمنا إياه يوحنا كما سبق القول ، عندما كتب : « بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه » ١ يو ٤ : ١٣ . ولكنْ إن كنا بالشركة فى الروح صرنا

« شركاء الطبيعة الالهية » ١ بط ١ : ٤ . نُحسب مختلى العقل إن قلنا إن للروح طبيعة مخلوقة لا طبيعة الله . من أجل ذلك فإن الذين يحّل فيهم يصيرون إلهيين (مقدسين) . إن كان الروح يجعل البشر إلهيين فمما لا شك فيه أن طبيعته من الله[٩] .

القديس أثناسيوس الرسولى

+ لقد تبرهّن أن الروح القدس ليس فقط هو الله وإنما مساوٍ ومماثل للآب، لأن الإنسان هو هيكل الثلاثة أقانيم على نحو متساوٍ ومماثل. ومن يصبح مسكناً للآب يسكن الابن فيه وأيضاً الروح القدس. وذلك تماما كقولنا إن كل من له كرامة اقتناء الروح القدس والابن فله الآب أيضاً (عن الثالوث ٢ : ١٠)[١٠].

القديس ديديموس الضرير

+ إذ لنا هذه العطية ؛ بواسطة الشركة مع المسيح بواسطة الروح القدس أو فى الروح القدس نصير واحداً معه فندعى أولاد الله ومسحاء الخ ...

+ كما فى أيام الأنبياء ، كانت المسحة هى أثمن من أى شيء آخر ، لأنها كانت تقيم ملوكاً وأنبياء ، هكذا الآن بالنسبة للأشخاص الروحيين الذين ينالون المسحة السماوية فإنهم يصيرون مسحاء حسب النعمة ؛ هم ملوك أيضاً وأنبياء للأسرار السماوية . هؤلاء هم أبناء وسادة وآلهة ، صاروا أسرى النعمة ، دخلوا إلى العمق وصُلبوا وتقدسوا .

إن كانت مسحة الزيت التى أتت من مادة نباتية ، من شجرة منظورة ، لها مثل هذه القوة تهب من يُدهن بها كرامة لا جدال فيها ، فقد كانت كقاعدة ثابتة أن يُقام الملوك بالمسحة ؛ فداود مثلاً بعد مسحه سقط فوراً تحت اضطهادات وفى ضيقات لكنه بعد سبع سنوات صار ملكاً ، فكم بالأكثر نحن الذين مُسحنا فى الذهن فى انساننا الداخلى بزيت القداسة والبهجة (عب ١ : ٩) ، الزيت الروحى السماوى ، به نستلم ختم الملكوت ذا القوة الدائمة غير الفانية ، غيرة الروح (٢ كو ٥ : ٥) ، الروح القدس المعزى ؟! فقد دُعى المعزى ، لأنه يعزى الذين هم فى ضيقة ويفرحهم[١١] .

القديس مقاريوس الكبير

الختم الإلهي

الروح القدس هو النار الإلهية التى تشكِّلنا على مثال الله ، لكى نتمتع بشركة الحياة الإلهية ، وننال ختم نفوسنا السماوى . يقول القديس بولس عن هذا الختم الإلهى :

« الذى ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح فى قلوبنا » ٢ كو ١ : ٢٢ .

« الذى فيه أيضا أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم ، الذى فيه أيضاً إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس ، الذى هو عربون ميراثنا لفداء المُقتنى لمدح مجده » أف ١ : ١٣ ، ١٤ .

« لا تحزنوا روح الله القدوس الذى به خُتمتم ليوم الفداء » أف ٤ : ٣٠ .

« ولكن أساس الله الراسخ قد ثبت إذ له هذا الختم » ٢ تى ٢ : ١٩ .

يعلن هذا الختم Sphragis أننا قد صرنا مِلكاً لله ، خاصته ، إذ كانت العادة أن يختم الشخص ممتلكاته الثمينة بختمه . كما يُعلن الختم اننا قطيع الله وجنوده ، وتحت حمايته[١٢] .

+ المعمودية هى ختم مبارك[١٣] .

القديس اكليمنضس الاسكندرى

+ يسمنا الروح القدس بعلامته الخلاصية لنعود إلى شبهنا الأول ، لأن القطيع الذى لا يُميَّز بعلامة يكون غنيمة سهلة للذئاب ، فلا يكون له عون الختم ، ولا يكون معروفاً من الراعى الصالح مثل القطيع الآخر[١٤] ...

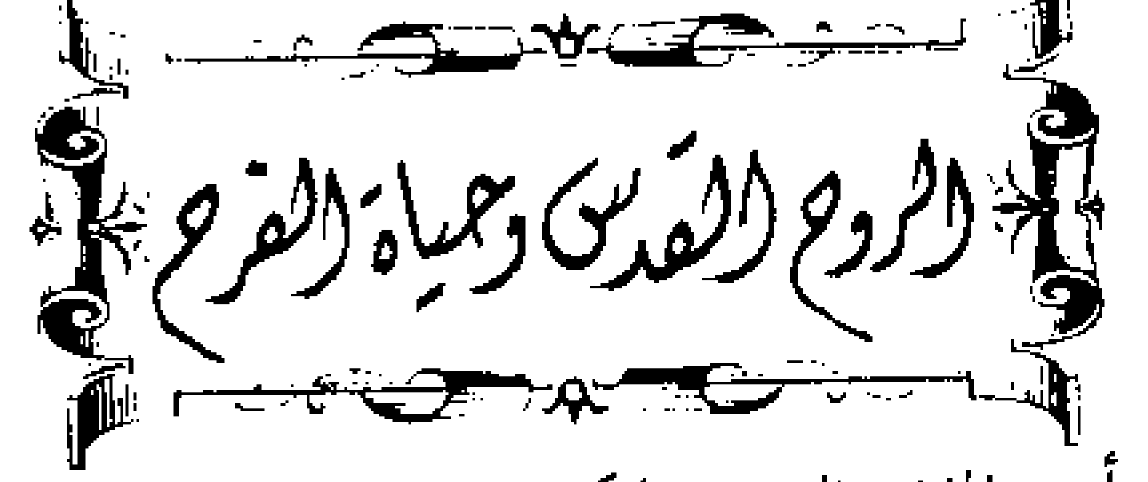
القديس ديديموس الضرير

يرى القديس ديديموس أن المعمودية هى ختم قوة الله ، به نصير خاصته (ملكه) ، نتمتع بالمواهب السماوية ، متجددين بروح الله القدوس .

+ وأيضاً فإن الروح القدس يُدعى « مسحة » أو « ختماً » ، إذ يكتب يوحنا: « أما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يُعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهى حق

وليست كذبا » ١ يو ٢ : ٢٧ ، وجاء فى إشعياء النبى : « روح الله علىّ لأنه مسحنى » إش ٦١ : ١ ؛ كما يكتب بولس الرسول : « الذى فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس » أف ١ : ١٣ ، ويقول أيضاً : « ولا تحزنوا روح الله القدوس الذى به (فيه) خُتمتم ليوم الفداء » أف ٤ : ٣٠ . تُمسح المخلوقات وتُختم فيه ، فإن كانت الخليقة تُمسح وتختم فيه ، فلا يمكن أن يكون الروح مخلوقاً ؛ لأن ما يُمسح به ليس كالذين يُمسحون . علاوة على هذا فإن هذه المسحة هى أنفاس الابن ، لذلك يقول من له الروح : « نحن رائحة المسيح الذكية » ٢ كو ٢ : ١٥ . فالختم يُعطى شكل الابن حتى أن من يُختم به يصير له شكل المسيح ، كما يقول الرسول : « يا أولادى (الصغار) الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم » غلا ٤ : ١٩ .

القديس أثناسيوس



الروح القدس وحياة الفرح

الفرح هو أحد الملامح الرئيسية للكنيسة التى يقودها الروح القدس (غلا ٥ : ٢٢) . حقيقة إننا مدعوون للشركة فى الصلب مع الرب ، لكنه يمنحنا روحَه الباراكليت أو المعزى (يو ١٤ : ١٦ ؛ ١٦ : ١) الذى يسكن فينا حتى أثناءَ الضيقات ، ويجعل قلوبنا تفيضُ فرحاً بلا إنقطاع (فى ٤ : ٤) .

الروحُ القدس الذى يقيم الكنيسة ، ويرفعها إلى السماء ، يمنحها فرحاً فى كل نواحى حياتها[1] :

١ـــ يصف **القديس يوحنا كاسيان** رهبانَ مصر انهم بشر سمائيون أو ملائكة أرضيون ، لأنهم جعلوا من صحارى مصر فردوساً مفرحاً بسبب تسابيحهم لله .

٢ـــ الكنيسة القبطية فى كل عبادتها الليتورجية ترفع عقولنا إلى السماء !

٣ـــ اعتدنا فى كنيستنا أن نمارس الاحتفالَ بالأعياد دونَ توقف (يكاد يكون يومياً) .

٤ـــ تظهر أيقوناتنا فرحةً دائمة ، لا تجد بينها منظراً للجحيم ، بل صوراً للسماء وللخلائق السماوية والأكاليل[2] .

٥ـــ حتى فى ممارسة صلوات السواعى (الإجبية) الخاصة اعتدنا أن نبدأ المزاميرَ بقولنا « **تسبحة** الساعة ... » نتلوها بنغمة مبهجة .

٦ـــ اعتاد آباءُ الاسكندريةِ أن يتحدثوا عن الفرح الروحى كغذاءٍ به يُشبعُ الروحُ القدس النفسَ كى لا تموت .

كان الشخصُ المعَّمد حديثاً ـــ حسبَ طقسِ عماد الكنيسة القبطية الأولى ـــ يشرب لبناً ممزوجاً بالعسل . يقول **القديس اكليمنضس الاسكندرى** إن تناولَ العسلِ هنا يشير إلى اقتنائنا يسوعَ المسيحَ ربَنا عسلَنا وغذائنا الحقيقى نحن المؤمنين[3] . فالمؤمن بالحقيقة يقتنى بالمعمودية ربَنا يسوعَ بعمل الروحِ القدس الذى يملأ حياته بفرحه السماوى .

٧ـــ عضوية روحية فى الكنيسة جسد السيد المسيح[٥] .

٨ـــ قوة النصرة على الخطية والموت والشيطان ، مع رفع القلب إلى السماء .

+ هذه هى نعمة الانارة حتى أنه لا تبقى سِماتنا كما كانت قبل أن نغتسل .

+ إذ نعتمد نستنير ؛ وإذ نستنير نُتبنى ؛ وإذ نصير أبناء نكمل ؛ وإذ نصير كاملين نخلد . إنه يقول : « أنا قلت إنكم آلهة وأبناء العلّى كلكم » مز ٨٢ : ٦ . يُدعى هذا الفعل نعمة واستنارة وكمالاً وحميماً . فهو حميم لأننا به نغسل خطايانا ، ونعمة إذ تُترك عقوبات خطايانا ، واستنارة إذ به نرى النور المقدس للخلاص ، أعنى أننا به نشخص إلى الله بوضوح .

+ نحن الذين اعتمدنا مُحيت خطايانا التي تحجب نور الروح الإلهى ، واقتنينا عين الروح الحرة غير المقيدة والمملوّة نوراً ، بواسطتها وحدها نتأمل الله عندما يحل الروح القدس علينا من الأعالى . هذا هو الاصلاح الأبدى للرؤية ، به يُمكن أن نعاين النور الأبدى . ومادامت الأشياء المتشابهة تحب بعضها البعض ، فإن كل ما هو مقدس يحب مصدر القداسة الذى بحق يُدعى « النور » . « كنتم قبلاً ظلمة ، أما الآن فنور فى الرب » أف ٥ : ٨ . وبالتالى دعى القدماء الانسان ''φως'' وهى تعنى « نوراً » كما تعنى « إنساناً » ، وكما قالوا بإنه لم يكن بعد قد نال النعمة الكاملة[٦] .

القديس اكليمنضس الاسكندرى

+ يخبرنا سِجلُ أعمالِ الرسل عن ظهور الروح الذى يحيا فى المعّمد عندما يُهيىء الماءُ الطريقَ للذين يقتربون باخلاص . وتُدعى المعمودية « حميم الميلادِ الجديد » تى ٣ : ٥ ، التى تأخذ مكانها مع تجديد الروح[٧] .

+ لما كان سّر المعمودية يطرد كل أدناس الميلاد (الجسدى) ، لذلك فحتى الأطفال يُعمدّون ، لأنه « ما لم يولد الانسان من الماء والروح فلن يستطيع أن يدخل ملكوت السموات »[٨] .

+ يُفسّر المُخلّص كيف يمكن أن نُولَد من فوق ، قائلاً إن الدخولَ إلى ملكوت الله قائم أمامنا ، لكنه يستحيل علينا الحصول عليه ما لم نولد من الماء

والروح ؛ يتبع هذا أن الميلاد من فوق هو الميلاد من الماء والروح . والمولود من الروح هو ذاك الذى يصير بها (بالمعمودية) مقدساً وروحانياً .

بما أن الذى يدخل ملكوتَ الله هو مولود ليس من الروح وحده بل ومن الماء أيضاً ، لهذا وجب علينا أن نبحث فى الأسفار المقدسة عما يخص الماء ، إن كان يختلف عن الروح فى المفهوم وليس فى الجوهر (راجع يو ٧ : ٣٨ــ٣٩) . فقد قيل عن الروح إنه تفيض من المؤمن أنهار ماءحيّ، فالماء يختلف إذن عن الروح فقط فى المفهوم . كما يقول شخص ما عن المولود من المخلص إنه حكيم مولود من الحكمة ؛ وأيضا المولود من الروح يولد مقدساً وروحانياً ؛ والمولود من الماء يُولد مُغتسلاً ، وكل من يستقى (بالماء) لكى يثمر هو مولود من الماء والروح .

يقول آخر إن « الماء » يعنى هذا : « التعليم الذى يطهر النفس » ، هذا الذى يساهم فى الميلاد الذى من فوق . عن هذا الاغتسال بالتعليم الإلهى يقول المرتل لله : « تغسلنى فأبيض أكثر من الثلج » (أنظر إرميا ٤ : ١٤) . وبما أن الخلاص ليس موجهاً فقط للنفس بل وللجسد أيضاً الذى يُستخدم أيضاً كأداة لممارسة أعمال الروح ، فمن الطبيعى يجب أيضاً أن يتقدس (الجسد) بواسطة ما يُسمى فى التعليم الإلهى بـ « غسل التجديد » (حميم الميلاد الجديد) ، والذى يُدعى أيضاً « المعمودية الإلهية » . فهى ليست ماءاً مجرداً بل ماء يتقدس بواسطة الصلاة السرائرية (مت ٢٨ : ١٩ الخ) ... كيف يكون ماءً عادياً هذا الذى يشارك فى قوة الثالوث قدر المستطاع والذى يرتبط بالفضيلة السلوكية والعقلية ؟ أنظر أيضاً عظمته بالنظر إلى هدف استخدامه : الدخول فى ملكوت السموات . الهدف فائق فى عظمته لكل تصوّر ؛ فكيف لا يكون علة الدخول (الماء) عظيماً هكذا ؟ ملكوت الله يعنى تدبير الذين يعيشون حسب ناموس الله ، هذا التدبير مكانه اللائق هو السموات . إذ دُعى هنا « ملكوت الله » بينما فى متى « ملكوت السموات » ، يلزمنا القول بأن متى دعاه حسب المكان الذى يوجد فيه الملكوت » ، بينما نسَّبه يوحنا ولوقا حسب مَلِكها « الله » ، وذلك كما نتحدث عن أمبراطورية الرومان » فنحددها بواسطة رعاياها مميِّزين إياها عن طريق موقعها على الأرض أو فى العالم[٩] .

+ استلمت الكنيسة تقليداً من الرسل لمنح المعمودية حتى للصغار ... مادام كل الناس بهم دنس الخطية الأصلى الذى يجب غسله بواسطة الماء والروح[١٠] .

العلامة أوريجانوس

+ بما أن المسيح هو الابن الحقيقى هكذا عندما نأخذ نحن الروح نصير « أبناءً » . لأنه يقول : « إذ لم تأخذوا روح العبودية للخوف ، بل أخذتم روح التبنى » رو ٨ : ١٥ ، واضح أننا فى المسيح نُدعى أبناء الله ، « أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله ، أى المؤمنين باسمه » يو ١ : ١٢[١١] .

القديس أثناسيوس الرسولى

+ إرادة الآب أن يصير الانسان شريكاً للروح القدس ، حتى يُولد مواطن الأرض من جديد فى حياة جديدة غير عادية ، ويُدعى مواطن السماء . عندما يدعو (المسيح) الميلاد الجديد من الروح انه « **من فوق** » يظهر بوضوح أن الروح من جوهر الله الآب . وكما يقول عن نفسه أيضاً « أنا من فوق » ؛ ويقول عنه الإنجيلى المملوء حكمة : « الذى يأتى من فوق هو فوق الكل » .

+ دَعى ربُنا يسوع المسيح الميلادَ الجديد بواسطة الروح « ميلاداً من فوق » ، مظهراً أن الروح من الجوهر الذى هو فوق كل جوهر ، به نصيرُ شركاءَ الطبيعة الإلهية ... وإذ نتمتع بذاك الذى ينبثق من الجوهر جوهرياً ، به وفيه نتشكل فنأخذ هذا الجمال الفائق غير العادى ، بهذا نولد من جديد إلى جدة الحياة ، ونتشكل على (صورة) البنوة الإلهية . لكن نيقوديموس لم يفهم الكلمات « من فوق » ، فتصور أنها تعنى ميلاداً مستقبلياً يتحقق بنفس طريقة الولادة الجسدية . إذ سقط فى تخيلات أغلقت عليه الأمر فحسبه مستحيلاً أبتلع فى الجمود وعدم القدرة على التعلم . لهذا وجد المخلص أنه من الضرورة أن يجيبه بلطف[١١] كمن قد اعتاد على الضعف ، نازعاً الحجاب الذى يبدو موضوعاً على كلماته ، فيتحدث بصراحة ، قائلاً : « إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » يو ٣ : ٥[١٢] .

+ (بتعليم الروح) صرنا أغنياء برجاء الخلود الذى لا يضمحل ، وباللقب العظيم أننا أبناء الله ، وبالنعمة هنا (على الأرض) والمُلك مع المسيح فيما بعد[١٣] .

القديس كيرلس الكبير

البنوة والتكريس

لقد نلنا النعمة الإلهية للبنوة للآب بواسطة الروح القدس فى المعمودية . لقد أُعطيت لنا مجاناً ، لكن وجب علينا أن نتمسك بها بتقوى (حياة مكرسة للرب) .

١ــ ركزت الكنيسة الأولى على تكريس القلب كأمر ضرورى لهذه النعمة ، فكان المُعمدَّون (أو أشابينُهم) يُسألون أن يقبلوا المعمودية باخلاص . يقول **العلامة أوريجانوس** : [« ليس جميعُ الذين من إسرائيل هم إسرائيليون » رو ٩ : ٨ ، ولا الذين اغتسلوا بالماء قد تطهروا فوراً بالروح القدس ... فقد نال سيمون المعمودية لكنه لم يكن مخلصاً فى طلب النعمة ، فلم يأخذ عطية الروح القدس (أع ٨)[١٤] .]

الذين يقبلون المعمودية لإرضاء آخرين بقصد الزواج مثلاً ... لا ينالون هذه النعمة بسبب عدم إيمانهم .

٢ــ أكدت الكنيسة الأولى الجدية فى العماد ، فطلبت عماد الأطفال لكى يتمتعوا بهذه النعمة لخلاصهم[١٥] .

٣ــ إذ نلنا هذه النعمة الإلهية يلزمنا ندعو الله : « أبانا » ، لا بشفاهنا فحسب بل وبحياتنا المقدسة كلها التى تعلن بنوتنا الحقيقية لله .

+ بخصوص « روح البنوة » تُعلمّنا رسالةُ يوحنا الجامعة أن المولود من الله « لا يفعل خطيةَ لأن زرعه يثبت فيه ، ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله » ١ يو ٣ : ٩ ... إنهم لا يقولون « أبانا » بنصف قلب (فى منتصف الطريق) . مثل هؤلاء يضمون قلوبهم إلى أعمالهم ، فالقلب منبع وأصل الأعمال الصالحة التى تقود إلى البر ، بينما يعترف الفم به للخلاص (أنظر رو ١٠ : ١٠)[١٦] .

العلامة أوريجانوس

تجديد طبيعتنا

كما سبق فرأينا أن آباء الكنيسة لم يفصلوا بين التبنى وتجديد طبيعتنا ، فهما وجهان لنفس النعمة . ففى جرن المعمودية يخلق الانسان الجديد ، وتتجدد طبيعتنا بواسطة الروح القدس حتى يمكننا أن نعيشَ كأبناءٍ لله أخذنا الحياةَ الجديدة فى المسيح .

« بمقتضى رحمتهِ خَلصنّا بغسلَ الميلادِ الثانى وتجديد الروح القدس » تى ٣ : ٥ .

« إذ خلعتم الانسانَ العتيقَ مع أعمالهِ ولبستم الجديدَ الذى يتجددُ للمعرفة حسبَ صورةِ خالقه » كو ٣ : ٩ ، ١٠ .

« فدُفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيحُ من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة » رو ٦ : ٤ .

+ تُدعى (المعمودية) « حميم التجديد » لكونها مصاحبة لتجديد الروح الذى لا يزال يرف على المياه(١٧) .

+ يخلق الروح القدس لنفسه شعباً جديداً ، ويجدِّد وجه الأرض حينما يخلعُ الناسُ الانسانَ العتيق بأعماله (كو ٣ : ٩) ، وذلك بنعمة الروح ، ويبدأون فى السلوك فى جِدة الحياة (رو ٦ : ٤)(١٨) .

العلامة أوريجانوس

+ صار الكلمة جسداً لكى يمنحَ جسدَه للكل ، ولكى نتأله بشركة روحه ؛ عطية لا يمكننا أن نقتنيها بطريق آخر سوى ذاك الذى نلبسه فى جسدنا المخلوق ، من هنا جاء اسمُ « رجال الله » و « أناسٌ فى المسيح » . وكما أننا لا نفقد كياننا الخاص بنا بقبولنا الروح هكذا عندما حملَ الربُ جسداً لأجلنا لم يصر أقل من كونه الله ، فانه لم ينقص لأنه التحف بالجسد بل بالأحرى جعله خالداً مؤلهاً(١٩) .

+ وعد الله حزقيالَ : « أعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم ،

وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحمٍ ، وأجعل روحى فى داخلكم » حز ٣٦ : ٢٦ ، ٢٧ . متى تحقق هذا ، إلا عندما جاء الرب وجدد كل شىء بنعمته ؟ أنظر كيف يُظهر حتى فى هذا النص التمييز بين الأرواح بجلاء . أرواحنا تتجدد ، وأما الروح القدس فليس روحاً مجرداً لكنه الله بقوله إنه روحه ، الذى بواسطته تتجدد أرواحنا . وكما يقول المرتل فى المزمور ١٠٣ (١٠٤) : « تنزع أرواحهُم فيموتون وإلى تراب يعودون ؛ ترسل روحك فتخلقهم وتجدد وجه الأرض » مز ١٠٤ : ٢٩ ، ٣٠ . فبروح الله نحن نتجدد[٢٠] .

+ يُدعى الروح روح القداسة والتجديد ، لأن بولس يكتب : « تعين (أُعلن) ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات ، يسوع المسيح ربنا » رو ١ : ٤ . كما يقول : « لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا » ١ كو ٦ : ١١ . وقد كتب إلى تيطس : « ولكن حين ظهر لطف الله مخلصنا واحسانه ، لا بأعمال فى بّر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خَلَّصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس ، الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا ، حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية » تى ٣ : ٤ــ٧ . تتقدس الخليقة وتتجدد : « ترسل روحك ، وتجدد وجه الأرض » مز ١٠٤ : ٣٠ . وكما يقول بولس أيضاً : « لأن الذين أُستنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاءَ الروح القدس ... » عب ٦ : ٤ .

لذلك فإن ذاك الذى لم يقَدِّسه أحد ولا شارك أحد فى القداسة ، إنما هو نفسه التى به تصير الشركة ، وفيه تتقدس الخليقةُ كلها ، كيف يمكن أن يكونَ واحداً من بين كل الأشياء (أى كيف يكون مخلوقاً) أو يُنسب إلى الذين به تصير لهم الشركة ؟![٢١] ...

+ دُعى روحاً محيياً ، إذ قيل : « الذى أقام المسيح من الأموات سيقيم أيضاً أجسادكم المائتة بواسطة روحه الساكن فيكم » . الرب هو الحياة نفسه ومصدر الحياة كقول بطرس . وكما يقول الربُ نفسه : « الماءُ الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية » يو ٤ : ١٤ ، « قال هذا عن الروح الذى

كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه » يو ٧ : ٣٩ . أما المخلوقات — كما قيل — تحيا به[٢٢] .

القديس أثناسيوس الرسولى

+ يجدد الينبوعُ جسدنَا المنظور بطريقة منظورة بخدمة القسوس ، بينما روح الله غير المنظور يجدد أجسادنا وأرواحنا بخدمة الملائكة ...

+ يجددنا الروح القدس بكونه الله فى المعمودية ، وفى وحدانيته مع الآب والابن ينتشلنا من تشوهنا إلى جمالنا الأصلى . بذلك يملأنا بنعمته حتى لا نعمل شيئاً ما لا يليق بحبنا .

إنه يحررنا من الخطية والموت (ومحبة) الأرضيات ، ويجعلنا روحيين ، شركاء المجد الإلهى ، أبناء الله الآب وورثته .

إنه يغيّرنا إلى صورة ابن الله ، ويجعلنا له إخوة وشركاءه فى الميراث ، حتى نتمجد ونملك معه .

إنه يهبنا السماء عوض الأرض ، وفى سخائه يعطينا الفردوس ، ويجعلنا ممجدين أكثر من الملائكة ، ويطفىء لهب نار جهنم فى مياه المعمودية الإلهية ...

عندما نغطس فى جرن المعمودية تغفر خطايانا بصلاح الله الآب ونعمة الروح القدس ، لأن انساننا العتيق يُنتزع ونحن نتجدد ونُختم بالقوة الملوكية .

وعندما نخرج من المعمودية نلبس « المسيح مخلصنا » كثوبٍ لا يفسد ، ونتأهل لكرامة الروح القدس الذى يجددنا ويختمنا ، إذ يقول الكتاب إن كثيرين منا الذين اعتمدوا قد لبسوا المسيح (غلا ٣ : ٢٧) .

ونحن نتقبل صورةَ الله ومثالَه اللذّين فقدناهما بالخطية ، ونعود إلى حالتنا الأصلية ، سادةَ أنفسِنا وبلا خطية[٢٣] .

القديس ديديموس الضرير

+ يملأ الله طبيعةَ الانسانِ بهجةً بالروحِ القدِس ، ويتوجُ هذه الطبيعةَ بالمجد

الأصلى ، وفى محبة للصلاح يحضرُ طبيعتنا إلى ما كانت عليه قبل الخطية[٢٤] .

+ إذ نصيرُ شركاءَ فى الروح القدس نعودُ إلى جمال طبيعتنا الأول ، الصورةِ التى كانت لنا من قبل ، والتى طُبعت من جديدٍ على حياتنا الروحية ، لأن المسيحَ يُتصور فينا بالروح[٢٥] .

+ اتخذ المسيحُ من قلوبنا مسكناً بالروح ، وجلب علينا بهجةً روحية ، لأن الأمور التى فيها نشارك الروحَ هى البهجةُ والفرحُ والسرورُ من كل نوع[٢٦] .

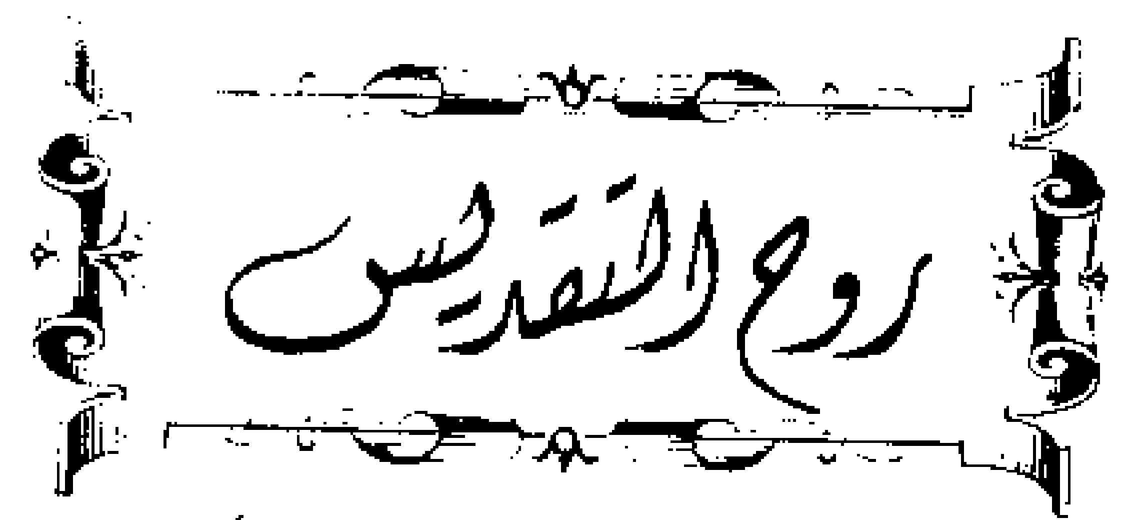
+ يعطى الربُ قوةً وشجاعةً لأولئك الذين يتعبون فى بناءِ الكنيسة ، لأنه هو حاضر معهم بالروح القدس ، ويعمل من أجلهم كل ما يجعل حياتهم بهية وذاتَ صيتٍ حسن . وقد قال لتلاميذه الذين كانوا على أُهبةِ بناء الكنيسة : « ها أنا معكم إلى انقضاء الدهر » ، وهو الآن حاضر مع الذين يبنون بيته[٢٧] .

+ التجديدُ فى الواقع هو عملُ الثالوثِ القدوس ... حتى إن وَضَّحنا أن لكل « أقنوم » عمله فى حياتنا أو فى الخليقة ، إذ يجب أن نؤمنَ أن كلَ شىءٍ يأتى من الآب بالابن فى الروح القدس[٢٨] .

+ لم يكن ممكناً للأرض أن تُشفى وتبرأ من وباءٍ عظيمٍ خفى كهذا بأية أدوية من عندياتها ، أى بأعمال بارة نابعة عن ذاتها ؛ وإنما بالطبيعة الإلهية السماوية التى لعطية الروح القدس . بهذا الدواء وحده أمكن للانسان أن يجَد الدواءَ ويعيشَ حتى يتطهَر قلبُه بالروح القدس[٢٩] .

القديس مقاريوس الكبير

+ + +



يوضحُ القديسُ **اكليمنضس الاسكندرى** العملَ الإلهى غيرَ المنقطع فى حياتنا ، قائلاً : [خلق المعلمُ الانسانَ من التراب ، ويجدده بالماء ، وينعشه بالروح .]

ماذا يعنى القديس اكليمنضس بقوله « ينعشه بالروح » ؟

أرسل المعلمُ الإلهى ـــ يسوعُ المسيح ـــ روحَه فى الكنيسة لا ليهبنا التبنى لله فقط ، وإنما لكى يقوتنا أيضاً بالحياة الإلهية بلا توقف ، أو « بالقداسة فى المسيح يسوع » ، لنكون قديسين مثل إلهنا القدوس (لا ١١ : ٤٤ ؛ ١ بط ١ : ١٦) .

فى العهد القديم ، خاصة فى سفر اللاويين ، دَعى الله الانسانَ مراراً وتكراراً لممارسة حياة القداسة ، مقدماً له وصاياه ، ومتقبلاً منه ذبائح حيوانية ، ومسلماً إياه شرائع التطهير ، ومع ذلك شعر الانسانُ بعجزه التام عن التمتع بالقداسة ، إذ وجدها عبئاً ثقيلاً لا يقوى على حمله ؛ وجدت فيها حرماناً من الملذات . أما الآن إذ يمنحنا الربُ روحَه القدوس ساكناً فينا ، صارت القداسةُ هى ناموسَ المسرة ، يتمتع به أولادُ الله . هذا النمط من الحياة على ما أظن يحمل معه انتقالاً من الملذات المجردة إلى الفرح الحقيقى الذى نتمتع به بشركتنا فى الروح القدس .

فالقداسة هى الحياة الطبيعية للانسان الروحِى الذى يسكنه الروحُ القدس ، ويعمل فيه ، مقدَساً نفسَه وعقلَه وقلبَه وحواسَه وكلَ أعضاءِ جسده . يقدم لنا **القديس أنبا أنطونيوس** فى رسائله حديثاً رائعاً عن تقديس حياة المؤمن ، خاصةً نفسه ، وذلك بالروح القدس الذى يقود الانسان إلى الحياة المقدسة .

+ تأخذ (الكائنات العاقلة) وجودها أولاً من الله الآب ، ثم تأخذ تعقلها من الكلمة ، وثالثاً تقديسها من الروح القدس . لقد جُعلت قادرةً على قبول المسيح ، كلُ منها قدرَ طاقتِها فى البر ، لأنها تتقدس الآن بواسطة الروح القدس . هؤلاء الذين يستحقون أن يقتنوا هذه الدرجة من التقدم بتقديس الروح القدس يحصلون أيضاً وبالتأكيد على عطية الحكمة بقوة روح الله

وعملهم فيهم ... لكى يتم هذا ، وحتى يكون هؤلاء الذين خلقهم الله فى حضرته الدائمة دون انفصال عنه . عملُ الحكمةِ أن تعلّمهم وتربيهم وتقودهم إلى الكمالِ بتقويةِ الروحِ القدس لهم وتقديسهم الدائم ، الذى به وحده يمكنهم البلوغ إلى الله[1] .

+ واضح أن (الروح القدس) هو قوة تقديس ، يمكننا جميعاً أن ننال منه نصيباً حتى نتقدس بنعمته[2] .

+ كما أن الشركة فى ابن الله تجعل الانسانَ ابناً يتبناه الله فى رتبة أولاد الله ، كذلك الشركة فى الروح القدس تجعل الانسان مقدساً وروحانياً[3] .

+ دُعى « روحُ القداسة » لأنه يقدم القداسةَ للكل[4] .

+ كلُ انسانٍ بدون إيمان هو « وادٍ » عميق فارغ ؛ فالإيمان بالمسيح يملأ الانسانَ بثمار الروحِ التى هى الفضائل[5] .

+ « الشجرةُ الصالحةُ » هى الروحُ القدس ، و « الشجرةُ الرديئة » هى الشيطانُ وخدامه . من له الروح القدس يظهر ثمارَهُ التى عدَّدها الرسولُ (غلا ٥ : ٢٢) ؛ ومن له القوة المضادة يحمل ثمارَ « أهواءِ الهوان » رو ١ : ٢٦ ، أشواكاً وحَسَكاً (عب ٦ : ٨)[6] .

العلامة أوريجانوس

+ إن كان لأجلنا قَدَّس (السيدُ المسيح) ذاته (يو ١٧ : ١٩) عندما كان فى الجسد ، فمن الواضح أن نزولَ الروحِ عليه فى نهر الأردن كان حلولاً علينا ، إذ حملَ جسدنا . لم يحدث هذا الحلولُ لنفعِ الكلمة ، وإنما لاقتناء تقديسنا ، نشاركه مسحته ، فيُقال : « أما تعلمون أنكم هيكلُ الله ، وروح الله ساكن فيكم ؟! » ١ كو ٣ : ١٦ ... وعندما قبلَ (المسيح) الروحَ صرنا نحن مستلميه[7] .

+ نحتاج إلى نعمة الروح لتقديسنا[8] .

القديس أثناسيوس الرسولى

+ كما فى ليلةٍ مظلمةٍ عاصفةٍ ، حيثُ الظلامُ الحالك والرياح العاصفة تهب بشدة فتفحص الأشجار والبذار وتهزها وتثيرها ، هكذا عندما يسقط الانسان تحتَ سلطانِ ظلامِ ليل إبليس ، يكون فى ليلٍ وظلامٍ فتثيره رياحُ الخطية العاصفة التى تهُبّ فتزعجه وتهزه بشدة ، وتسبر غوره وتفحص أعماقَ طبيعتهِ كلها : نفسه وأفكاره ومفاهيمه ، وتهتز كلُ أعضاءِ جسمه ؛ لا يهرب من هذه العواصف أى عضو للنفس أو الجسد ليبقى فى مأمن من الخطية الساكنة فينا؛ بالمثل يوجد نهارُ نور وريحُ الروح القدس الإلهية التى تهب على النفوس التى تكون فى نهار نور الرب وتنعشها . تهب هذه الريح فتتخلل كلَ عنصرٍ للنفس وأفكارَها وكيانَها وكلَ أعضاءِ الجسد ، فتنعش الكلَ براحةٍ إلهية لا يُنطق بها . هذا ما أعلنه الرسول بقوله : « جميعكم أبناءُ نورٍ وأبناءُ نهار ؛ لسنا من ليلٍ وظلمة » ١ تس ٥ : ٥ .

كما فى حالة الخطأ ، يلبس الانسانُ العتيق الانسانَ كلَه ، مرتدياً ثوب مملكة الظلمة ، ثوبَ التجديفِ وعدمِ الإيمان واللامبالاةِ والمجدِ الباطلِ والإفتخارِ والطمع والشهوة وكلِ مآخذ مملكةِ الظلام ، ثوباً مهلهلاً دنساً ورجساً ؛ هكذا يحدث هنا مع كل من يخلع الانسانَ العتيقَ الذى من أسفل ، من الأرض ، هذا الذى يخلعه عنه يسوع رداء مملكة الظلمة ، ويلبس الانسانَ الجديد السماوى ، أى يسوعَ المسيح بكل عضو مقابل (العتيق) ، العينين مقابل العينين ، والأذنين مقابلِ الأذنين ، والرأس مقابل الرأس ، فيكون الانسان كله نقياً ، بارتدائه الصورةَ السماوية .

+ لأنه حينما تصلُ النفسُ إلى كمالِ الروح ، وتتطهر بالتمام من الأهواء ، وتتحد مع الروح الباراكليت وتختلط به بشركةٍ لا يُنطق بها ، فإنها تُحسب أهلاً أن تصيرَ هى نفسُها روحاً ، فى اختلاطها مع الروح ، عندئذ تصير كلها نوراً ، وكلها عيناً ، وكلها روحاً ، وكلها فرحاً ، وكلها راحةً ، وكلها بهجةً ، وكلها حُباً ، وكلها حناناً ، وكلها صلاحاً ، وكلها رأفاتِ محبة .

وكما أن الحجرَ الذى فى قاعِ البحر تحيط به المياهُ من كلِ ناحية ، كذلك أولئك الذين يكونون مغمورين بالروح من كلِ جانب يصيرون مشابهين للمسيح ، حاصلين فى أنفسِهم على فضائل قوةِ الروح بلا تغيير ، لكونهم بلا عيبٍ ولا دنس ، أنقياء من الداخل والخارج .

وإذ قد ردَّهم الروحُ (إلى الله) ، كيف يمكنُهم أن يُظهِروا ثمرَ الشرِ فى الخارج ؟ بل فى كلِ الأوقاتِ وتحتَ كلِ الظروف تُشِعُ فيهم ثمارَ الروح .

لنتوسل إذن إلى الله ونؤمن فى محبةٍ ورجاءٍ كثير أن يهبنا النعمةَ السماويةَ لعطيةِ الروح ، لكى يحكمنَا الروحُ نفسُه أيضاً ويقودَنا إلى كلِ إرادة الله ، وينعشنَا بكل أنواعِ انعاشه ، لكى بواسطة هذا الحكم وخبرة النعمة والتقدم الروحى نُحسب أهلاً لإدراك كمال ملء المسيح كما يقول الرسول : « لكى تمتلئوا بكل ملء المسيح » أف ٣ : ١٩ ، وأيضاً يقول : « إلى أن ننتهى جميعُنا ... إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح » أف ٤ : ١٣ .

لقد وعدَ الربُ كلَ الذين يؤمنون به ويسألونه بالحق أن يعطيهَم أسرارَ شركةِ الروح التى لا يُنطق بها . لذلك ، فلنكرسْ نفوسنَا بالكامِل للرب ، ولنسرعْ فنحصل على الخيرات التى نتحدث عنها .

يرسلُ روحَه إلى قلوبنا ، حتى نصلَى و « نسجَد لله بالروح والحق » يو ٤ : ٢٤ ؛ وحتى يصلى الروحُ نفسه فينا ، ويعلمَنا الروحُ نفسه الصلاةَ الحقيقية ، التى لمْ ننلها بَعدُ حتى الآن مع أننا نغصب أنفسنَا عليها . ويعلمنا الإتضاع الحقيقى الذى لا يمكننا الآن أن نبلغه حتى بِالتغصب . ويعلمنا أن نثمر بالحق أحشاء رأفات (كو ٣ : ١٢) ، وحنواً ، وكل وصايا الرب ، دون ألمٍ أو تغصب ، كما يعرف الروحُ كيفيةَ ذلك حين يملأنَا بثماره . وهكذا إذ ننفذ وصايا الرب بروحه ، الذى وحده يعرف إرادةَ الرب ، والذى يُكمِّلنا فيه ويكمُلِ هو فينا حينما نتطهر من كل دنس وعيب الخطية ، فإنه يحضر نفوسنا نقيةً بلا عيب ، كعرائسَ جميلات للمسيح ، نستريح فى الله فى ملكوته ، ويستريح الله فينا إلى الأبد .

المجد لتعطفاته ومراحمه وحبه ، إذ يهب البشرية مثل هذه الكرامة والمجد ، ويمنحهم أن يصيروا أبناء الآب السماوى ، ويدعوهم إخوته . له المجد إلى الأبد آمين[٩] .

القديس مقاريوس الكبير

+ غزارةُ كل عطايا الروح القدس تصبح مفهومةً تماماً فى جوهره substance .

+ يستحيل أن يقتنى أحدٌ نعمةَ الله ما لم يقتنِ الروحَ القدس الذى فيه كلُ عطايا الله .

+ من الواضح أن الروح القدس هو فيضُ كلِ العطايا ، وانه لا يُعطَى شيءٌ فى اللاهوت (أى نكون شركاء الطبيعة الإلهية) بدونه(٢٠) ...

القديس ديديموس الضرير

لكى نُدرِكَ دورَ الروحِ القدس فى حياتنا الروحية وفى تقديس نفوسنا وأجسادنا يلزمنا أن ندرس رسائل القديس أنبا أنطونيوس الكبير كأبِ العائلةِ الرهبانية . وقد طلب القديسُ من تلاميذهِ أن يثقوا فى الروح القدس ، معلناً حاجتنا لعمل الروح الدائم فى حياتنا .

[ملاحظة : ترتيب هذه الرسائل يختلف حسبَ لغةِ المخطوطات : العربية والسريانية واليونانية ولغة جورجيا والآرامية والأثيوبية .]

١ـــ الروحُ القدس يجعلُ الجهادَ الروحى عذباً

+ إنى أرى أن نعمةَ الروح القدس على أتم إستعدادٍ أن تملأ أولئك الذين يتعهدون العمل الروحى بكل عزمِ القلب وجدية ، الذين يعزمون منذُ البدايةِ أن يقفوا ثابتين دونَ تراجعٍ أمامَ العدو (ابليس) فى أية معركة حتى يغلبوه .

على أيِ الأحوال ، يقومُ الروحُ القدس الذى دعاهم ، بتسهيل كلِ الأمور لهم فى بداية الأمر حتى يجعلَ لهم بدايةَ طريقِ التوبة عذباً ؛ لكنه مؤخراً يظهر لهم طريق (التوبة) على حقيقته . وإذ يعينَهم فى كل شيء يلح عليهم موحياً بأن يمارسوا أعمال التوبة اللازمة ، ويضع أمامهم ما هى أعمال الجسد والنفس من جهة شكلها وحدودها ، حتى يحضرهم إلى عودة كاملة لله خالقهم .

بهذا الهدف يحثهُم (الروح) باستمرار على الجهادِ بالجسد والنفس ، حتى إذ يتساويان فى التقديس يكونان هكذا فى استحقاق ميراث الحياة الأبدية . يكافحُ الجسدُ فى أصوامٍ مستمرة وجهادٍ وأسهار دائمة ، وتجاهد

النفس فى تداريب روحية مع مثابرة فى كل أنواع الخدم (والطاعة) منفذةً ذلك خلالَ الجسد .

لذلك يجب علينا أن نراعى ألا نصنع شيئاً بإهمال بل يكون كلُ شيء بحرصٍ دائم وفى خوف الله) ، وذلك فى كل عمل نقوم به بالجسد ، إن أردنا أن يكون لنا ثمر(١١) .

+ يلزمكم أن تعرفوا أن الروحَ القدس يعطى الشعبَ فرحاً فى بداية الحياة الروحية ، عندما يرى قلوبَهم قد تطهرت . بعد ذلك يعطيهم فرحاً مع عذوبة ، ثم يفارقهم ويتركهم . هذه هى علامة عمله ، الأمر الذى يحدث مع كل نفس تبحث عن الله فى مخافة ، فهو يفارقها ليبقى بعيداً مسافة صغيرة ليرى هل يظلون يبحثون عنه أم لا ...

فإن نظرهم يطلبونه بإستقامة من كلِ قلوبهم ، جاحدين إرادتِهم الذاتية ، يعطيهم الله بنعمته فرحاً أعظم من البداية ، ويؤسسهم بأكثر ثبات(١٢) .

+ **(الروح القدس) يجعل كلَ أعمال الله أحلى من العسل وقطر الشهاد ، سواء أكان تعباً أو صوماً أو سهراً أو سكوناً أو أعمال رحمة . كل ما يصنع لأجل الله يصير لهم حلواً ، حتى يعلمهم كل شيء (يو ١٤ : ٢٦)**(١٣) .

+ أحييك فى روح الوداعة ، الذى يعطى سلاماً ، ويبعث عذوبة فى نفوس الأبرار . إن الروح لا يأتى لكل نفس بل للذين يتّطهرون بالكمال من شهواتهم ، لأنه قدوس ولا يقدر أن يدخل نفساً دنسة (تصر على دنسها) ...

إنه لا يتوقف عن سكبِ رائحة (البر) والعذوبة عليهم ، كما هو مكتوب : « من الذى يعرف بهجةَ الروح إلا الذى جعل منه مسكناً له ؟!(١٤) ...

+ كما أن الأشجارَ لا تقدر أن تنمو ما لم يكن لها ماء طبيعى ، هكذا النفس أيضاً ما لم تنل العذوبةَ السماوية . النفوسُ التى تقبل الروحَ وترتوى بالعذوبة السماوية هى وحدها التى تنمو(١٥) .

+ عندما يأتى روحُ الله ليسكنَ فيهم ، يجلبُ لهم راحةً ، أو يدعهم يستمتعون بالراحة فى كل أنشطتهم ، ويجعل نيرَ المسيح حُلواً لهم ، كما هو مكتوب فى الأناجيل : « فتجدوا راحة لنفوسكم » مت ١١ : ٢٩ ، بالرغم من أنهم أخذوا نيرَه وحملوه . إذ يصبحون غير مُتعبين فى ممارسة الفضيلة وفى الطاعة وسهر الليل . لا يشعرون بغضب أزاء أى إفتراء بشرى ولا يحُل بهم خوف ، لا من انسان ولا من وحش أو من روح ؛ لأن فرح الرب يستقر معهم نهاراً وليلاً ، يهب حياة لعقلهم ويكون طعامهم . بهذا الفرح تنمو النفس ، وتصبح قادرةً على كلِ شىء ، أى تصير كاملة ، وبهذا الفرح تصعد إلى السماء[١٦] .

+ إننا نرى الطفلَ ينمو ، يبدأُ برضع لبن الأم ، بعد ذلك بعضِ أطعمة وأخيراً يأكل كل أنواع الطعام الذى يأكله البشر البالغون عادة . بهذا ينمو قوياً ناضجاً ، ويقوى قلبُه على اللقاء مع أعدائه بشجاعة إن هاجموه ؛ ولكنه إذا أُصيب بمرض فى طفولته ، يقل غذاؤه وتضعف قوته فينشأ ضعيفاً ويستطيع أى عدو أن يقوى عليه ويغلبه . لكى يستعيد صحته وقوته ليغلب أعداءه ، يلزمه أن يحصل على مساعدة طبيب متمرسُ يحظى بعنايته . هكذا تماماً بالنسبة للنفس البشرية ، فإن أى نقص فى الفرح الإلهى يجعلها تضعف وتعانى جراحات كثيرة . وإذا حاولت أن تجد انساناً ، خادماً لله ، متمرناً على الشفاء الروحى ، تلتصق به ، فإنه أولاً يشفيها من الشهوات ، وبعد ذلك يقيمها ويعلّمها كيف تحصلُ بمعونةِ الله على هذا الفرح الذى هو غذاؤها ، حينئذ يمكنها أن تقاوم أعداءَها ، الأرواحَ الشريرة ، وتغلبَهم ، وتطأُ مشوراتِهم تحتَ قدميها ، وتمتلىء بالفرح الأكمل[١٧] .

+ رائحةُ الروحُ القدس مبهجةٌ على الدوام ، عذبةٌ للغاية ، لا يقدرُ لسانٌ بشرىٌ أن ينطقَ بها . ولكن مَن هم الذين يعرفون هذه المسرةَ والعذوبةَ التى للروح إلا أولئك الذين جاء وحّل فيهم ؟ يأتى الروح القدس ويحل فى النفوس التائبة ، ولكن بعد أتعاب كثيرة . ونحن نرى أموراً كثيرة متشابهة حتى فى هذا العالم . فمثلاً لا يُحصل على الأحجار الكريمة إلا بمشقة عظيمة . وإذ يبحث القديسون عن هذا الروح يقتنونه بكونه اللؤلؤة الكثيرة الثمن التى يتحدث عنها الإنجيل فى مَثَل التاجر الذى كان يطلب اللآلىء الحسنة ، وحينما وجد

لؤلؤة كثيرةَ الثمنِ باعَ كلَ ما لديه واشتراها (مت ١٣ : ٤٥ــ٤٦) . نفس الأمر فى مثل « الكنز الذى فى الحقل » ، الذى إذ وجده انسان ذهب وباع كل شيء واشترى ذلك الحقل (مت ١٣ : ٤٤)[١٨] .

القديس أنبا أنطونيوس الكبير

٢ــ الروح القدس ينير العقل فنعرف ذواتنا ومركزنا الجديد فى المسيح ، ونعرف الله فى معاملاته معنا .

+ لأن الذين اقتربوا (من النعمة) ، وتعلَّموا من الروح القدس ، قد عرفوا أنفسهم حسب جوهرهم العاقل ؛ وبمعرفتهم أنفسهم صاحوا قائلين : « لأننا لم نأخذ روح العبودية للخوف ، بل أخذنا روح التبنى الذى به نصرخ : يا أبّا الآب » رو ٨ : ١٥ ؛ حتى يمكننا أن نعرف ماذا يعطينا الله ــ « فإن كنا أبناءَ فنحن ورثة ، ورثة الله وشركاء فى الميراث مع القديسين » رو ٨ : ١٧ ...

من يعرف نفسه يتأهل أن يتعبد (لله) كما يجب[١٩] .

أنبا أنطونيوس الكبير

٣ــ الروح القدس ينير العقلَ ليعرفَ طريقَ التقديس الحق

+ إنه يفتح عيّنى النفس ويعطيها أن ترى جمالَ النقاوة التى توصَّلت إليها بأعمالِ التوبة . بهذا يشعل فيها الغيرة لإتمام نقاوتها مع نقاوة الجسد ، حتى يكون الاثنان واحداً فى النقاوة . هذا هو هدف تعليم الروح القدس وارشاده أن ينقيهما تماماً ويردهما إلى حالتهما الأولى التى كانا عليها قبل السقوط ، بتحطيم كل غش زرعه العدو إبليس ، فلا يبقى فيهما شيء من آثار العدو . حينئذ يصيرُ الجسدُ طيعّاً لإرادة العقل فى كل شيء ، ويقررُ الذهنُ بسلطانِ طعام (الجسد) وشرابه ونومه وما إلى ذلك ، متعلماً من الروح القدس باستمرار أن يقمع الجسد ويستعبده ، كما فعل الرسول بولس (١ كو ٩ : ٢٧) .

+ ليسكبْ الله فى قلوبِكم تلك النارَ التى جاءَ يسوعُ لإضرامها على الأرض (لو ١٢ : ٤٩) ، حتى يمكنكم أن تدربوا قلوبكم وحواسكم لتعرف أن تميز الصالح من الطالح ، واليمين من اليسار ، والحقيقة من الغش[٢١] .

+ يرشد الله الجميعَ بعمل نعمته . فلا تتكاسلوا ولا ينهار قلبكم ، بل ادعوا الله نهاراً وليلاً متوسلين إلى الله الآب فى حنو محبته أن يرسل لكم عونه من فوق ليعلمكم ما تفعلون . لا تعطوا نوماً لأعينكم ، ولا نعاساً لأجفانكم (مز ١٣١ : ٤) فى غيرتكم ، لتقدموا أنفسكم ذبائح حية نقية لله ، حتى تروه ، لأنه بدون القداسة لن يرى أحد الله كما يقول الرسول (عب ١٢ : ١٤)[٢٢] .

القديس أنبا انطونيوس

٤ــ الروحُ القدس ينقِّى النفسَ والجسدَ من كلِ حركةٍ جسدانية .

+ على أى الأحوال ، إن تسلَّح انسانٌ بالصبرِ والإيمانِ غيرِ المتزعزع والأمانة فى وصايا الله ؛ فإن الروحَ القدس يعَّلم عقلَه كيف تتنقى نفسه ويتطهر جسده من مثل هذه الحركات الجسدانية[٢٣] .

+ بفضل ارتباطِ عقلِ الانسان أو روحِه (بالروح القدس) ، يساعد الروح القدس الانسانَ على تنفيذ الوصايا التى يتعلمها بدقة ، ويرشده لطرد كل الشهوات عن النفس ، سواء الشهوات التى تختلط بالجسد وترتبط به أو تلك التى تصدر عن النفس مستقلةً عن الجسد . فهو يُعلِّم الانسان أن يحفظ جسده كله ــ من الرأس إلى القدمين ــ فى تناسق : العينين لتنظرا بنقاوة ؛ والأذنين لتسمعا فى سلام (أو تنصتا إلى الأمور الخاصة بالسلام) ، دون أن تتلذذا بالنميمة والإفتراءات والنقد ؛ واللسانَ ليتكلمَ فقط بما هو صالح ، معطياً وزناً لكل كلمة ، فلا يسمح لشيءٍ دنس أو شهوانى أن يختلطَ بحديثه ؛ واليدين لتتحركا طبيعياً فترتفعا للصلاة ولممارسة أعمال الرحمة والكرم ؛ والمعدة ليكون لها حدود مناسبة للأكل والشرب ، بالقدر الكافى لقوت الجسد فقط ، وعدم ترك الشهوة والنهم أن ينحرفا بها فتتعدى حدودها ؛ والقدمين لتسلكا فى البر حسب إرادة الله ، بهدف خدمة الأعمال الصالحة . بهذا يكون الجسدُ كله قد اعتاد على كل عمل صالح ، ويصير خاضعاً لسلطان الروح القدس ، فيتغير شيئاً فشيئاً حتى يشارك ــ إلى حد ما ــ فى النهاية صفات الجسد الروحى الذى يناله فى قيامة الأبرار[٢٤] .

+ إن فعل ما قلتُه ، يتحنن الله عليه لأجلِ تعبه ، ويمنحه تلك النارَ غيرَ المنظورة التى تحرقُ كل النجاسات منه ، وتتنقى روحُه (ذهنه) ، ويسكن الروح القدس فيه ، ويقطن يسوع فيه ، وبهذا يمكنه أن يعبدَ الله كما ينبغى[٢٥] .

+ بالروح تقدَّسنا فى المسيح . لنستعدْ الآنَ فى كل قداسةٍ لتتطهرَ حواسُ أذهانِنا ، فنتنقى بمعموديةِ يسوع ، مقدمِّينَ ذواتِنا ذبيحةً لله[٢٦] .

القديس أنبا أنطونيوس

٥ــ حرارةُ الروح القدس تهبنا النصرةَ على الشيطان

+ علاوة على هذا فإن نفس الإنسان تشبه طائراً أيضاً ، من حيث أن الدفء هو سبب وجوده فى الحياة . فبدون تدفئة البيض لا يخرج الفرخ الحىّ ، هكذا أيضاً بالنسبة للنفس ، إذ يحيط الله بالنفوس التى تطيعه ويدفئها ، يرفعها إلى الحياة الروحية . وإذ تتحقق النفس أنها مطيعة لله وملتصقة به ، تشبه الطائر الذى تكمن حياته فى الدفء ، لهذا ليتكم لا تنفصلون قط عن قوة هذه النار . احترزوا فإنه بسبب هذه النار التى يقدمها الله لكم ، يشن الشيطان هجمات كثيرةً لعله يحرمكم منها ، وهو يعرف أنه لا غلبةَ له عليكم مادام لكم هذه النار[٢٧] .

القديس أنبا انطونيوس الكبير

٦ــ الروح القدس يعمل دوماً فى حياة القديسين

يدعو **القديس أنطونيوس الكبير** القديسين الذين انفصلت نفوسهم عن محبة هذا العالم « **لابسى الروح** » ، إذ يختبرون قوةَ الروحِ القدس فى حياتهم هنا على الأرض ، وبمحبتهم يسألون الله أن نتمثل نحن أيضاً بهم ونستمتع بحضرة الروح وحلوله فينا . هذه الشفاعة هى عملُ الروح فيهم .

+ نحن نعرف الآن أن القديسين والأبرار « المحصورين فى الروح » يصلّون لأجلنا على الدوام حتى نتضعَ أمام الله ، ونلبسَ من جديد الثوبَ الذى خلعناه فى جوهرنا العقلى . لأن هذا الصوتَ غالباً ما يأتى من الله الآب إلى كل الذين

التحفوا بالروح ، قائلاً لهم : « عزّوا عزّوا شعبى يقول الربّ ، تكلموا أيها الكهنة إلى قلب أورشليم » (راجع إش ٤٠ : ١، ٢)[٢٨] .

أنبا أنطونيوس الكبير

النار الإلهية

يتحدث القديسان أنبا أنطونيوس ومقاريوس وكثير من قادة الحياة الرهبانية عن الروح القدس كنار إلهية يعمل فى حياة المؤمنين .

١ــ يحول المؤمنين إلى خدام الله الملتهبين ناراً (عب ١ : ٧) ، فتصير حياتهم أشبه بنار لا تقدر مياهُ هذا العالم أن تطفئها (نش ٨ : ٧) .

٢ــ هذا « **النار الإلهى** » يظهر ربنا يسوع فى حياتنا العملية . فكما استخدم هرون النار لتحويل ذهب الإسرائيليين إلى عجل ، هذا الذى كان يسكن فى قلوبهم منذ خروجهم من مصر ، هكذا يحول الله حياتنا إلى مثال المسيح الساكن فى قلوبنا أثناء عبورنا برية هذا العالم منطلقين نحو السماء .

٣ــ بينما كان إيليا يصلى ، نزلت نارُ الرب فوق ذبيحة المحرقة والتهمتها مع الحطب والحجارة والتراب ، ولحست الماء الذى كان فى القناة (١ مل ١٨ : ٣٨) . إنها النار الإلهية التى تتقبل كلَ ذبيحة تُقدم بإسم الله ، تنقّى قلوبنا من الحجارة (القساوة) ومن التراب (محبة الزمنيات) ومن الماء (برودة الروح) .

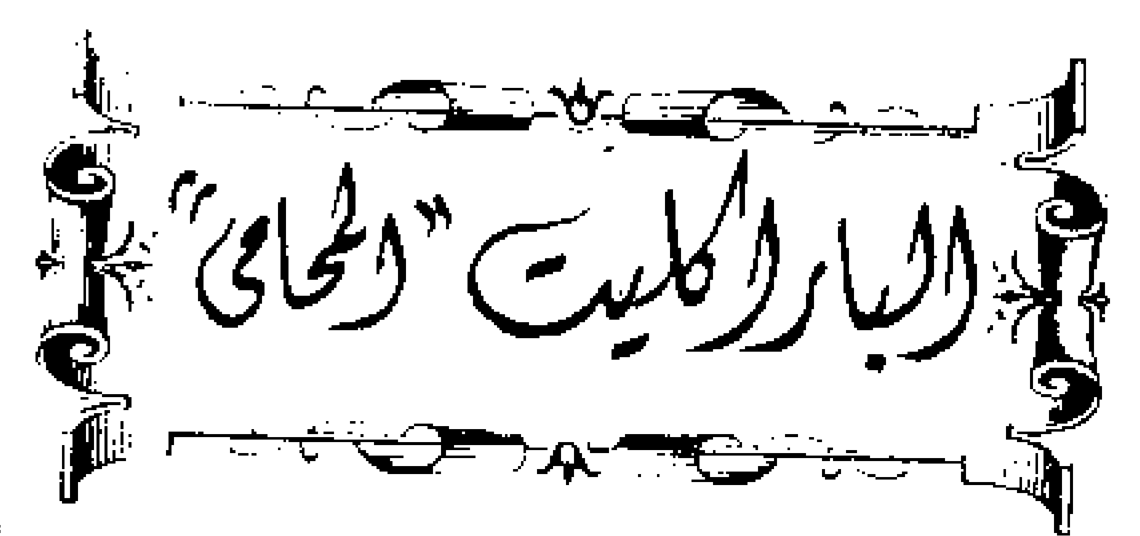
+ الطبيعةُ العاقلة الخالدة مخفية فى جسدنا البالى ، أى توحى بكل أفعالها فيه ومن خلاله .

هكذا إذ تجعلون هذا الجسد مذبحاً يقدم عليه البخور ، ضعوا عليه كل أفكاركم ومشوراتكم الشريرة قدام وجه الرب ، رافعين عقولكم وقلوبكم إليه ، متوسلين أن يرسل ناره المحوّلةَ من الأعالى ، لتحرقَ كلَ ما هو على هذا المذبح وتنقّيه فيخافكم خصومكم (الخطايا) كهنة البعل ، ويهلكوا على أيديكم ، كما حدث مع إيليا النبى (١ مل ١٨ : ٢٥ الخ ...) . حينئذ تشاهدون من يظهر من المياه الإلهية ، يجعل المطرَ الروحى ينهمر عليكم ، الذى هو الروح المعزى[٢٩] .

+ وأنا أبوكم سأصلي من أجلكم حتى يمنحكم أنتم أيضاً هذا الروحَ النارى العظيم الذى أخذته أنا ، فإننى أعلم أنكم تنكرون أنفسكم لكى تقتنوه ، لأن من يتعب فى أى جيل ينال ذاتَ الروح الذى يحل فى المستقيمى القلوب ، وأنا أشهد لكم أنكم تطلبون الله بقلب مستقيم[٣٠] .

القديس أنبا أنطونيوس

+ + +



تَطَلّع لاهوتيو الإسكندرية إلى الصلاة ، سواء كانت ليتورجيةً (جماعية) أم خاصة ، لا على أنها شكليات أو واجبات يلزم إتمامها ، وإنما كعملٍ عظيم يحتاج إلى نعمة الروح القدس التى تعمل فى حياة الكنيسة وفى كل نفس . فالكنيسةُ أو النفسُ ترتفعُ بالصلاة إلى حضرة الله الثالوثِ القدوس ، تمارس حديثها مع الله صراحة ، تعبر عن محبتها له ونحو كل الخلائق . لقد وعَد الربُ تلاميذَه أنه يرسل لهم الباراكليت « المدافع » ، الذى هو روحُه (يو ١٦ : ٧،٨) ، هذا وحده له القدرة أن يرفع عقولنا إلى فوق ، وينير نفوسنا حتى تتمتعَ بشركةٍ عميقة مع الله الآب بابنهِ الوحيد . هذا هو ما قَصَده القديسُ بولسُ بشفاعةِ الروح فى القديسين حسبَ مشيئةِ الله (رو ٨ : ٢٦،٢٧) .

الصلاةُ هى عملُ الثالوثِ القدوس فى حياتنا ، إذ يبعثُ الآبُ نورهَ عليها ، والابنُ يعلمها ، والروح القدس يعمل فينا ليمكّننا من أن نفهمَ ونتطقَ بحقٍ بأمورٍ عظيمة كهذه ، كقول **العلامة أوريجانوس** .

الروح القدس يمنح عقولنا المجدبة ثماراً ، ويجعلها روحية ، لكى نصلى ونرنم بالروح (١ كو ١٤ : ١٥) .

+ يقول داود : « إليك رفعتُ عينّى يا ساكن السماء » مز ١٢٣ : ١ ، « إليك أرفع نفسى يا الله » مز ٢٥ : ١ ... كيف ؟ تُرفع النفس ثم تتبع الروح ... إذ تصير فيه ![1] .

+ بحق يقول القديسُ بولس : « الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها ، ولكن الذى يفحصُ القلوبَ يعلم ما هو إهتمام الروح ، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين » رو ٨ : ٢٦،٢٧ . الروح يصرخ فى قلوب الطوباويين : « أبّا الآب » ، وهو يعرف بعنايته المهتمة بنا كلَ أنّاتِنا فى هذه الخيمة ، والتنهدات التى تتناسبُ مع ثقلِ الذين سقطوا أو عصوا (الله) إنه يشفعُ من أجلِنا ، واضعاً على عاتقِه تعدياتِنا بسببِ حبه العظيم وحنوه على البشرِ .

يرى بحكمته نفوسنا تتضعُ حتى التراب (مز ٤٤ : ٢٥) ... وبهذا « يشفع فينا لدى الله » ، لا باستخدامه تنهدات أيا كانت وإنما « تنهدات لا يُنطق بها »[٢] ...

+ « أصلى بالروح وأصلى بالذهن أيضاً ؛ أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضاً » ١ كو ١٤ : ١٥ . لا يمكن لأذهاننا أن تصلى ما لم يصلِ الروح أولاً لأجلها (لأجل الصلاة) ... كما لا يمكننا أن نرتلَ ونسبِّحَ للآب فى المسيح فى إتفاق وانسجام ... ما لم يبدأ الروحُ الذى يفحص كلَ شيءٍ حتى أعماقَ الله (١ كو ٢ : ١٠) بالتسبيح والترنم له ...

أعتقد انه عندما تحقَّق التلميذُ من الضعف البشرى العاجز عن الصلاة كما ينبغى ، وعندما سمع كلماتِ الحكمة والقوةِ التى نطق بها الربُ فى صلاته للآبِ ، قال للرب بعدما أنهى صلاته : « يا سيد علِّمنا أن نصلى » لو ١١ : ١[٣] ...

+ الصلاة عظيمة هكذا ، تحتاج إلى الآب ليبعثَ بنوره عليها ، وإلى كلمته البكر ليعلمها ، وإلى الروح ليعمل فينا فنفهم وننطق بحكمة بأمور عظيمة كهذه[٤] .

+ حينما كان موسى يصرخ إلى الله (بقلبه) ؛ كيف كان يصرخ ؟ فبالرغم من أن أحداً ما لم يسمع صراخه ، قال الله له : « لماذا تصرخ إلىّ ؟! » خر ١٤ : ١٥ . أود أن أعرف كيف يصرخ القديسون إلى الله دون صوت . يعلمنا الرسول : « أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم ، صارخاً : يا أبّا الآب » غلا ٤ : ٦ . وهو يضيف : « الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها » رو ٨ : ٢٦ ، وأيضاً : « الذى يفحص القلوبَ يعلم ما هو إهتمام الروح ، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين » رو ٨ : ٢٧ . هكذا عندما يشفع الروحُ لدى الله يُسمع صراخَ القديسين بالصمت[٥] .

- إنه يصلى لأجل الذين يصلون ، ويسأل من أجل الذين يسألون ... لكنه لا يكون محامياً لدى الله عن من هم له إن كانوا لا يطيعون وصاياه وهى : « ينبغى أن يُصلى كل حين ولا يُمل » لو ١٨ : ١[٦] .

العلامة أوريجانوس

النعمة والتسبيح لله

ما أسهل أن يرتل انسان لله بشفتيه ، لكننا نحتاج إلى نعمة الله واهبة الفرح الداخلى (غلا ٣ : ٢٢) كى نسبحه بكل إنساننا الداخلى : بأذهاننا وقلوبنا وحواسنا . بهذه العطية الإلهية نتمتع بعربون الحياة السماوية التى هى حياة الترنم والتسبيح لله المبهجة . يقول **العلامة أوريجانوس** : [إن لم يمتلىء العقل بنعمة الله لا يقدر أن يرتل بتسابيح مجده[٧]] . [إذ ننعم بقوة سماوية (١ كو ٢ : ٤) ، بالحق أكثر من سماوية ، بالإيمان نعبد الله خالق الكل بكونه إلهنا الخاص بنا[٨]] .

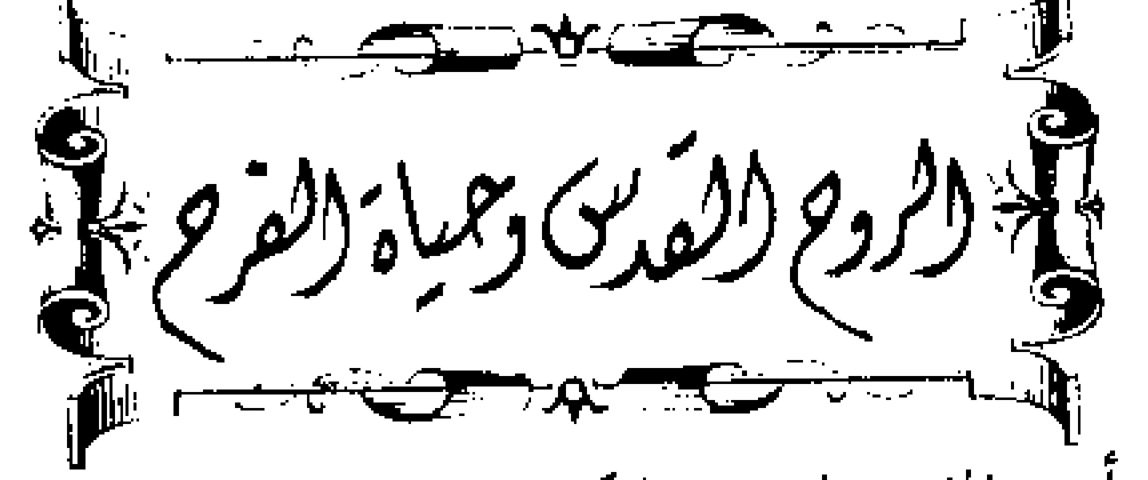
الروح القدس وعبادة الله

+ الذى يفعل هذا (برفع قلبه نحو العلاءِ إلى أبى الكل) يستعطف مراحمَ ربنا بجهاده ، فينال ناراً « محوَّلة » غيرَ منظورة ، تحرقُ كلَ ما فيه من شهوات ، وتطهر عقله تماماً ، عندئذ يقطن فيه روح ربنا يسوع المسيح ويكون معه ويعلمه كيف يسجد للآب باخلاص[٩] .

+ لذلك عندما تَقبَّلَ الرسلُ روحَ التبنى ، علمَّهم الروحُ القدس كيف يعبدون الآب كما ينبغى[١٠] .

القديس أنبا أنطونيوس

+ + +



الفرح هو أحد الملامح الرئيسية للكنيسة التى يقودها الروح القدس (غلا ٥ : ٢٢) . حقيقة إننا مدعوون للشركة فى الصلب مع الرب ، لكنه يمنحنا روحَه الباراكليت أو المعزى (يو ١٤ : ١٦ ؛ ١٦ : ١) الذى يسكن فينا حتى أثناءَ الضيقات ، ويجعل قلوبنا تفيضُ فرحاً بلا إنقطاع (فى ٤ : ٤) .

الروحُ القدس الذى يقيم الكنيسة ، ويرفعها إلى السماء ، يمنحها فرحاً فى كل نواحى حياتها[1] :

١ــ يصف **القديس يوحنا كاسيان** رهبانَ مصر انهم بشر سمائيون أو ملائكة أرضيون ، لأنهم جعلوا من صحارى مصر فردوساً مفرحاً بسبب تسابيحهم لله .

٢ــ الكنيسة القبطية فى كل عبادتها الليتورجية ترفع عقولنا إلى السماء !

٣ــ اعتدنا فى كنيستنا أن نمارس الاحتفالَ بالأعياد دونَ توقفٍ (يكاد يكون يومياً) .

٤ــ تظهر أيقوناتنا فرحةً دائمة ، لا تجد بينها منظراً للجحيم ، بل صوراً للسماء وللخلائق السماوية والأكاليل[2] .

٥ــ حتى فى ممارسة صلوات السواعى (الإجبية) الخاصة اعتدنا أن نبدأ المزاميرَ بقولنا « **تسبحة** الساعة ... » نتلوها بنغمة مبهجة .

٦ــ اعتاد آباءُ الاسكندريةِ أن يتحدثوا عن الفرح الروحى كغذاءٍ به يُشبعُ الروحُ القدس النفسَ كى لا تموت .

كان الشخصُ المعَّمد حديثاً ــ حسبَ طقسِ عماد الكنيسة القبطية الأولى ــ يشرب لبناً ممزوجاً بالعسل . يقول **القديس اكليمنضس الاسكندرى** إن تناولَ العسلِ هنا يشير إلى اقتنائنا يسوعَ المسيحَ ربَنا عسلَنا وغذائنا الحقيقى نحن المؤمنين[3] . فالمؤمن بالحقيقة يقتنى بالمعمودية ربَنا يسوعَ بعمل الروح القدس الذى يملأ حياته بفرحه السماوى .

+ لقد دَعى (السيدُ المسيح) الروحَ القدس الذى يرسله (حالاً على الكنيسة) « الباراكليت » ، وذلك بسبب عمله ، فإنه ليس فقط يعزى الذين يجدهم مستحقين لذلك ، وإنما أيضا يخلصهم من كل حزن وألم فى النفس . إنه يهبهم فى ذات الوقت الفرحَ الذى لا ينحل ، فيسكن الفرحَ الأبدىَ فى قلوبهِم ، لأن الروحَ القدس ساكنٌ فيها[٤] .

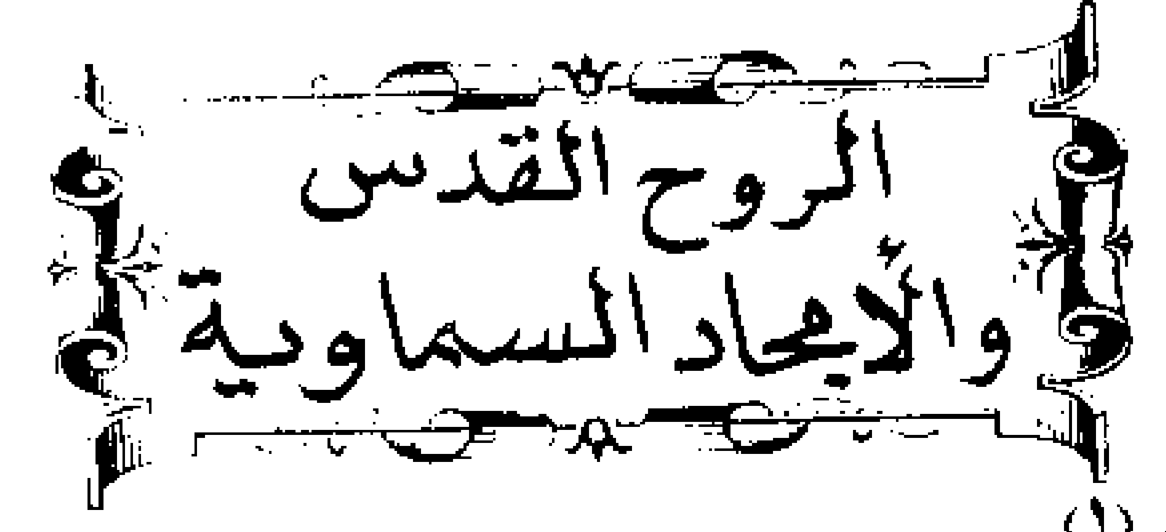
القديس ديديموس الضرير

+ كما أن الأشجار لا يمكن أن تنمو بدون ماء ، هكذا النفس لا تقدر أن تنمو ولا أن ترتفعَ إلى فوق ما لم تحظَ بالفرح السماوى ...

+ تنتعش النفس دائماً بهذا الفرح وتشعر بالبهجة ؛ بهذا تُرفع إلى السماء . إنها فى حاجةَ إلى طعامها (الفرح) كما يحتاج الجسد أيضا إلى غذائه[٥] .

القديس أنطونيوس الكبير

+ + +



المعلّمُ السماوى(١)

وعد ربنا يسوعُ المسيح تلاميذَه أن يرسل إليهم الروحَ القدس الذى يعلمُّهم كل شيء (يو ١٤ : ٢٦) . الروح القدس معلم فريد ، إذ يسكن داخل نفوسنا ، وينير أذهاننا ، ويرفع قلوبنا إلى السماء كى نختبر الحياة السماوية . إنه لا يعلمنا بالكلمات فحسب بل ويكشف لنا الحق الإلهى فى داخلنا . يقول القديس بولس : « حيث روح الرب هناك حرية ؛ ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح » ٢ كو ٣ : ١٧، ١٨ .

الروح القدس الذى يهبنا الميلادَ الجديدَ يقودنا كمعلّمٍ إلهى إلى سمواتِه ، ويكشف لنا عن الأمجادِ الأبدية داخل نفوسنا .

+ أود أن أخبركم عن شكلِ النفس عندما تأتى النارُ الإلهية لتحل فيها . إنها تشبه طائراً مُجنَّحاً يحلق عالياً فى جو السماء . من بين كلِ الخلائق الطيور وحدها لها أجنحة كسمةٍ خاصة بها . أجنحةُ النفس التى تطيع الله هى وثباتُ النارِ الإلهية التى تُعطى النفسَ قوةَ التحليق عالياً فى السماء ، فإذا جُردت من هذه الأجنحة تعجز تماماً عن التحليق إلى فوق . هكذا عدمُ وجودِ هذه النار التى ترفع (النفس) الى فوق يجعلها كطائرٍ مجرد من جناحيه غيرِ قادرٍ على الطيران(٢) .

+ يدخل الروح إلى (النفس) ويبقيها مرتفعةً عالياً ، ملاصقة لله(٣) .

القديس أنبا أنطونيوس

+ الذهنُ المسيحى وطريقةُ تفكيرِه يكونا دائما فى إطارٍ سماوى ، إذ يبصر (المسيحيون) كما فى مرآة الخيراتِ الأبديةَ وذلك بسبب شركتهم فى الروح القدس ، بولادتهم من الله من فوق ، وبكونهم يتميزون بالبنوة لله فى الحق والعمل ، وبوصولهم عبرَ مصاعبَ وضيقات ومشقاتٍ إمتدت زماناً طويلاً ، إلى حالةِ استقرارٍ من جهة الحرية والراحة من عناء الأفكار الباطلة . بهذا

يصيرون أعظمَ وأفضلَ من العالم ، لأن عقولَهم وإطارَ نفوسهم محفوظةٌ فى سلامِ المسيح وحُبِ الروح . عن مثل هذا الأمر تحدَّثَ الربُّ عندما قال إنهم « اجتازوا من الموت إلى الحياة » يو ٥ : ٢٤ .

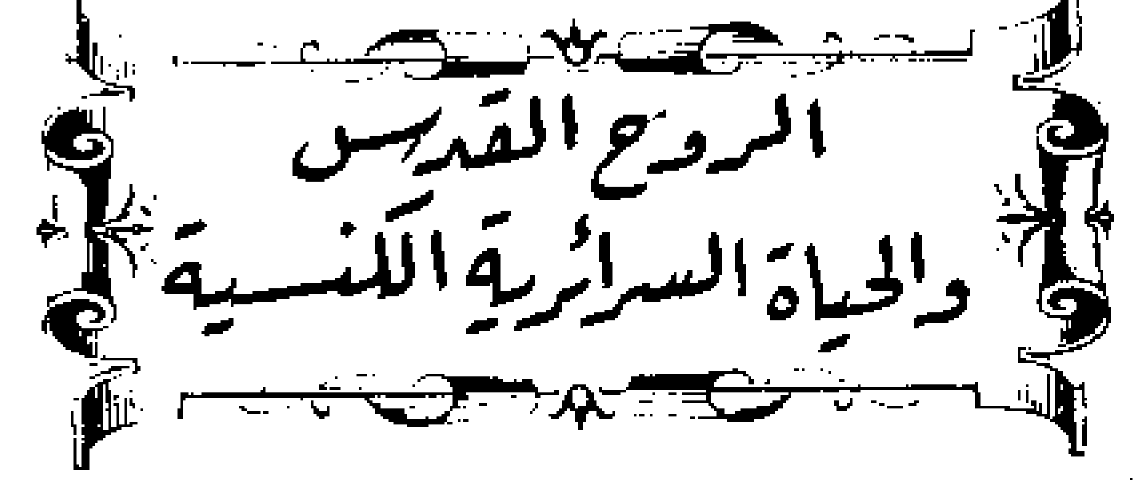
+ للمسيحيين مجدٌ وجمالٌ وغنى سماوى يفوقُ التعبيرَ ، لكنه ملتحفٌ بالآلام والعرق وجهادٍ كثير ، هذا كلُه يتم بنعمة الله .

+ لأجل هذا السببِ فإن المسيحيين الذين هم بالحقِ والعمل مسيحيون يرحلون من الجسد بثقةٍ وفى بهجةٍ ، إذ لهم البيتُ المصنوعُ بغير أيدٍ ، وتسكن فيهم قوةُ الروح . فإنه وإن تحلَّل مسكنُ الجسد لا يخافون ؛ إذ لهم منزلُ الروح السماوى والمجد الذى لا يفسد ، بجانب هذا ففى مجدِ يومِ القيامةِ يقومُ مسكنُ الجسد ويتمجد كقول الرسول : « الذى أقام المسيحَ من الأموات سيحيى أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم » رو ٨ : ١١ . وأيضا : « لكى تظهَر حياةُ يسوعَ فى جسدِنا المائت » ٢ كو ٤ : ١١ ؛ و « لكى يُبتلع المائتُ من الحياة » ٢ كو ٥ : ٤ .

+ يجب على كلِ واحدٍ منا أن يجاهدَ ويتألم مثابراً فى كلِ الفضائلِ ، وأن يطلبَ من الرب أن يصيرَ الانسانُ الداخلى شريكاً فى هذا المجد هنا الآن ، وأن تكون للنفسِ شركة فى قداسة الروح هذه ، حتى تتطهرَ من كل دنسٍ وشر ، وحتى يكون لنا فى القيامة ما نستتر به أجسادنا إذ تقوم عارية ؛ تستر عدمَ جمالها وتحييها وتنعشها إلى الأبد فى ملكوت السموات . لأن المسيح سينزل من السماء ، ويقيم كلَ قبائلِ آدم ، الذين رقدوا منذ البدء حسب الأسفار المقدسة ، ويقسمهم جميعاً إلى مجموعتين : أولئك الذين يحملون علامته ، أى ختم الروح ، هؤلاء يدعوهم خاصته ويقيمهم عن يمينه ، قائلاً : « خرافى تسمع صوتى ، وأنا أعرف خاصتي ، وخاصتى تعرفنى » يو ١٠ . حينئذ تلتحف أجسادُهم بمجدٍ إلهى حسبَ أعمالِهم الصالحة ، ويمتلئون من مجد الروح الذى اقتنوه فى نفوسهم وهم هنا (على الأرض) ؛ وبذلك يتمجدون فى النور الإلهى ويُؤخذون إلى السماء ، لكى يلتقوا بالرب فى الهواء كما هو مكتوب « وسيكونون مع الرب » ١ تس ٤ : ١٧ ، يفرحون معه إلى الأبد ، آمين .

القديس مقاريوس الكبير(٤)

+ + +



حّل الروحُ القدس فى يوم الخمسينَ على تلاميذِ المسيح ورسله ليخلقَ الكنيسةَ المسيحية ، لا كمؤسسةٍ إجتماعية ، وإنما كجسدِ المسيح الذى يمارس الحياةَ الإلهية . هذه الحياة التى لا يُنطق بها تدعى « سرائرية » ، لأنها ليست من عملنا الذاتى ، ولا من صنع أيدينا ، إنما هى من عمل الروح . فالروح القدس الذى للكنيسة هو الذى أوجدها ، وهو يحيا فيها ويعمل فيها كجماعةٍ كما فى كل عضوٍ من أعضائها . هذه الحياةُ السرائرية الكنسيَّةُ تحقق وجودَ الكنيسة ونموها ككلٍ فضلاً عن نمو العلاقة الشخصية التى يتمتع بها كلُ عضوٍ مع الثالوثِ القدوس ؛ هذا يتحقق بواسطة الروحِ القدس فى الأسرارِ الكنسية : المعمودية ، الميرون ، الأفخارستيا ، التوبة والاعتراف ، مسحة المرضى ، الزواج ، الكهنوت .

١ــ الروحُ القدس والمعمودية

يمنح الروحُ القدس المؤمنين الميلادَ الجديد الروحى ، ويحولهم إلى أعضاء جسد المسيح . وبواسطة هذه النعمة الإلهية يهبنا الروحُ « الحياةَ الجديدةَ » فى المسيح ، الحياةَ المُقامة ، واستنارةَ النفس ، والشركةَ فى الحياة الإلهية .

+ إننا نغتسل من خطايانا ، فلا نرتبك بعُد فى شرٍ ؛ هذه هى نعمةُ الإستنارة ، كما أن سماتِنا تتغير عما كانت عليه قبلَ الإغتسال . « لأنكم جميعاً أبناءُ الله بالإيمان بالمسيح يسوع ، لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح ، ليس يهودى ولا يونانى ، ليس عبدٌ ولا حّر ، ليس ذكر وأنثى ، لأنكم جميعاً واحدٌ فى المسيح يسوع » غلا ٣ : ٢٦ــ٢٨ .

القديس اكليمنضس الاسكندرى

+ من لم يتجدد بروح الله القدوس ، ويُختم بعلامة تقديسه ، لا يقدر أن يقتنى المواهبَ السماوية ، حتى ولو بكمالِ الحياة التى بلا عيب ... الإستثناءُ الوحيد من معمودية الماء هى معموديةُ الدم التى هى أيضاً عملُ الروحِ القدس . فإن الذين عانوا الاستشهاد قبل المعمودية قد اغتسلوا فى دمهم وأحيَّاهم الروحُ القدوس ... لقد لخَّص فاعلية المعمودية وأثرها على النفس

هكذا : إذ نتجدد فى المعمودية ، نستمتع بالألفة مع الله ، قدر ما تسمح طبيعتنا ، كما قال البعضُ : قدر ما تسمح به (طبيعةُ) الانسان المائت يتشبه بالله[٢] .

القديس ديديموس الضرير

+ مكانُ المَرعى هو الفردوس ، الذى منه سقطنا ، وإليه يقودنا المسيح ، ويثبتنا بماء الراحة (مز ٢٣) ، أى بالمعمودية .

القديس كيرلس الكبير

٢ــ الروحُ القدس ومسحة الميرون

يقبل المُعمدُّون الروحَ القدس حالاً فى نفوسهم ليقودَ حياتهم ، مانحاً إياهم التقديسَ المستمرَ لنفوسِهم وعقولِهم وقلوبهم وأجسادِهم وحواسِهم وعواطِفهم ، بهذا يعدهم كعروسٍ روحيةٍ للعريسِ السماوى .

لممارسة الحياة الإلهية نحتاج إلى الروح القدس نفسِه الذى يرشدنا إلى كل « الحق » (يو ١٥ : ١٣) ، يشهد للسيد المسيح بواسطتنا (أع ٥ : ٣٢) ، ويمنحنا الحياة (يو ٦ : ٣٦) ، ويتحدث معنا (رؤ ٢ : ٧) .

+ المِسحةُ هى سُكنى الروح القدس بمعرفة الحق ... لذلك عندما يتحولُ انسان عن الخطية يتمتع بالتطهير ...، لكن عطيةَ الروح تُقدم تحت شكلِ الزيت ، حتى أن من يتحول عن الخطية لا ينال فقط التطهيرَ وإنما يمتلىء أيضاً بالروحِ القدس ، الذى به يمكنه أن يحصلَ على ثوبه السابق والخاتم ويتصالح مع أبيه تماماً ويسترد مركزه كابن (لو ١٥)[٣] .

+ إننا نقرأ أن الروح لا يستقر على جميع الناس أيًا كانوا بل على القديسين الطوباويين ؛ لأن روحَ الله يستقر على « أنقياء القلب » ، وعلى أولئك الذين ينقُّون نفوسهَم من الخطية ، كما أنه لا يحل فى جسدٍ مُسلَّمٍ للخطية حتى إن كان قد سبقَ فسكنَ فيه فى الماضى ، لأن الروح القدس لا يحتمل الشركةَ مع روحٍ شرير . بلا شك عندما نخطىء يأتى روحٌ شرير ويجعل قلبنَا ملهىً له ،

أيًا كنا نحن ... لذلك فإن خطيتنا « تُحزن الروحَ القدس » أف ٤ : ٣٠ ، أما أعمالنُا البارةُ والمقدسة فتعد له موضعَ راحة فينا[٤] .

العلامة أوريجانوس

٣ــ الروح القدس والإفخارستيا

يُستدعى الروح على العنصرين (الخبز والخمر) وعلى كل الذين سيتناولونهما ، فيحول الخبزَ والكأسَ الذّين يُقدمّان للمؤمنين إلى جسدِ السيدِ المسيحِ ودمِه . بهذا السر يقود الروحُ القدسُ الكنيسةَ فى طريقِها الملكى حتى تدخلَ السماءَ عينَها ، وتشتركَ فى الليتورجية السماوية ، وتتمتعَ بالشركة مع الآب فى يسوعَ المسيح .

+ المائدةُ السماويةُ هى جسدُ الرب الذى يقّوينا ضدَ الشهواتِ (الشريرة) وضدَ الشيطان . حقاً إن إبليسَ يخشى الذين يشتركون فى الأسرار بتقوى[٥] .

القديس كيرلس الاسكندرى

+ كما يختلط الخمرُ بالماء ، هكذا الانسانُ بالروح[٦] .

القديس اكليمنضس الاسكندرى

٤ــ الروح القدس والتوبة

يحل الروحُ القدس فينا بكوننا هيكَله الخاص به ، فيجد له موضعاً فى هذا الهيكل البشرى ، يعمل فيه باستمرار لأجل تقديسِنا . إنه يشتهى أن يمحَو خطايانا ، لهذا يمنحنا توبةً يومية عن كل خطيةٍ وضعفٍ ، كى **نعترفَ** أمامَ إلهِنا وأمامَ كهنته : « إن إعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادلٌ حتى يغفرَ لنا خطايانا ويطهِّرنا من كلِ إثم » ١ يو ١ : ٩ .

الروحُ القدس ينير نفوسنا ويكشف ضعفاتنا ، ويعلن لنا عن حاجتنا إلى خلاص إلهى ، كما يحثُنا على الإعترافِ ، وهو نفسُه الذى يغفر لنا خطايانا خلالَ كهنةِ الله ، إذ قال ربنُا لتلاميذه : « اقبلوا الروحَ القدس ، من غفرتم له خطاياه غُفرتْ له ، ومن أمسكتموها عليه أُمسكت » يو ٢٠ : ٢٣ .

في سرّ التوبة والإعتراف يحصلُ المؤمنُ على « **معموديةٍ ثانية** » ، إذ يتقبلُ نوعاً من التجديدِ الروحي للانسان الداخلي .

+ « حتى تُعلن أفكارٌ من قلوبٍ كثيرة » لو ٢ : ٣٥ . حقاً كان في البشر أفكارٌ شريرة ، وقد أُعلنت لكي تظهرَ على السطح فتهلك وتُذبح وتموت ؛ يقتلها ذاك الذي مات لأجلنا . إذ كانت هذه الأفكارُ مخفيةً دون أن تُكشف ، لم يكن ممكناً القضاءُ عليها بالموت . لهذا إذ نخطىء يلزمنا القول : « أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي ، قلتُ أعترف للرب بذنبي وأنت رفعتَ آثامَ خطيتي » مز ٣٢ : ٥ . لأننا إن فعلنا هذا وكشفنا خطايانا ليس فقط لله ، بل ولأولئك الذين يمكنهم أن يشفوا جراحاتنا وخطايانا ، تُمحى شرورنا بواسطة ذاك الذي يقول : « قد محوتُ كغيمٍ ذنوبَك وكسحابةٍ خطاياك ؛ إرجع إليّ لأني فديتُك » إش ٤٤ : ٢٢) .

+ يجب على المسيحّي أن يخضعَ لنظامٍ دقيق (بأكثر شدة من رجال العهد القديم) ، لأن المسيح مات عنه . لنسمع الآن عن كلِ طرقِ مغفرة الخطايا في الأناجيل :

أولا : إن إعتمدنا لمغفرة الخطايا .
ثانيــاً : توجد مغفرةُ الخطايا باحتمالِ آلام الاستشهاد .
ثالثــاً : مغفرةُ الخطايا مقابل أعمالِ الرحمة (لو ١١ : ٤٤) .
رابعــاً : مغفرةُ الخطايا بغفرانِ ذنوب الآخرين (متى ٥ : ١٤،١٥) .
خامسا: المغفرةُ التي توهب لمن يرَّد ضالاً عن طريق ضلاله (يع ٥ : ٢٠) .
سادساً: المغفرةُ خلال فيض الحب (لو ٧ : ٤) .

بالإضافة إلى هذا يوجد طريق سابع ، طريق صعبة ومؤلمة ، وهي المغفرةُ عن طريقِ الندامةِ ، عندما يبللُ الخاطي فراشَه بدموعِه ، وتصبح دموعُه طعامَه نهاراً وليلاً (مز ٦ : ٦ ؛ ٤٢ : ٣) . وعندما لا يخجل من أن يكشف خطاياه لكاهنِ الرب ، طالباً دواءً (يع ٥ : ١٤)[٧] .

العلامة أوريجانوس

+ عندما تحَّول عقلُ الإسرائيليين وأفكارهم بعيداً عن الله الحيّ إلى عبادةِ الأوثان ، ألزموا هرونَ أن يجمع أوانيهم وحليهم الذهبية ، التى أُلقيت فى النار فتشكلت حسب مقصدهم ؛ كان هذا أمراً عجيباً ؛ فإنهم كانوا فى نيتهم وأفكارهم الخفية مصممين على عبادة الأوثان ، وبحسبِ رغبتِهم وقصدهِم شكَّلت النارُ من حليهم عِجلاً مسبوكاً من صناعتهم وعبدوه وسجدوا له علانيةً (خر ٣٢ : ٢٤) .

وكما أن الثلاثة فتية كان لهم أفكارُ البر ، فقبلوا نارَ الله فى داخلهم وعبدوا الربَ بالحق ، كذلك الآن فإن النفوسَ المؤمنةَ الصالحة ، تأخذ تلك النارَ السماوية الإلهية فى هذا العالمِ فى الخفاء ، هذه النارُ تشكِّلُ من بشريتِهم صورةً سماوية إلهية . كما شكَّلت النارُ الأوانى الذهبيةَ وجعلته صنماً ، كذلك يحققُ الربُ مقاصدَ النفوسِ المؤمنةِ الصالحةِ ويتممها ، ويصوِّر فى النفوس منذ الآن الصورةَ السماويةَ الجديدةَ حسبَ رغبتهم . هذه الصورةُ هى التى ستظهر فى القيامةِ من الخارج ، وتمجد أجسادَهم من الداخل ومن الخارج . وكما أن أجسادَ البعضِ فى هذا الزمانَ تفسد وتموت وتتحلل ، هكذا تفسدُ الأفكارُ بعملِ الشيطان ، وتموت عن الحياة الحقيقية ، وتدفن فى الطين والتراب ، لأن نفوسهَم تهلك .

وكما طرح الإسرائيليون الأوانى الذهبية فى النار ، فصارت صنماً ، كذلك الانسان الآن يسلم أفكاره النقية الصالحة للشر فتدفن فى وحلِ الخطية وتصير صنماً .

ما الذى يفعله الانسان حتى يكتشفها ويميزها ويخرجها بعيداً عن ناره ؟ تحتاج النفوسُ إلى سراجٍ إلهى ، أى الروحِ القدس ، الذى يعيدُ تنظيمَ (تجديد) البيت المظلم . تحتاجُ إلى شمسِ البر الساطعةِ ، التى تضفى وتشرقُ على القلبِ كسلاحٍ تكسبُ به المعركة .

تلك المرأةُ التى فقدت الدرهمَ بدأت بإشعالِ السراج ، وبعد ذلك كنست البيت ... فوجدت الدرهَم المفقود ، مدفوناً فى الترابِ والقذارة ، فى الأرض . هكذا النفسُ أيضاً ، لا تقدر من ذاتها أن تجد أفكارَها وتميزَها ، لكن حينما يُوقد السراجُ الإلهى ينيرُ البيتَ المظلم ، وحينئذ تنظرُ النفسُ أفكارَها ، كيف

كانت مدفونةً فى وحلِ الخطية وقذارتها ؛ وتشرقُ الشمس فترى النفسُ حينئذ فُقدانها ، وتبدأ فى استرداد أفكارها التى كانت مختلطة بالوَسَخ والدنس ؛ لأن النفسَ فى الحقيقة أضاعت صورتَها حين عَصت الوصية(٨) .

القديس مقاريوس الكبير

٥ــ الروحُ القدس ومِسحةُ المرضى

الروح القدس ، بكونه روحَ الابن ، يعلن أن يسوعَ المسيح هو الطبيبُ الحقيقى لأجسادِنا ونفوسنا وأرواحنا . يقول يعقوب الرسول : « أمريضٌ أحد بينكم فليدع قسوسَ الكنيسةِ فيصلوا عليه ويدهنوه بزيتٍ . باسم الرب ، وصلاةُ الإيمان تشفى المريضَ والرب يقيمه ، وإن كان قد فعل خطيةً تُغفر له » يع ٥ : ١٤،١٥ .

اعتاد الأقباطُ على ممارسةِ هذا السِّر بمسرة ، بإيمان وثقة أن الله يعتنى بصحتهم الجسدية والنفسية والروحية ، دون أن يربطوا هذا السِّرَ بالموت ، كما حدث فى أوربا ، خاصةً من القرن التاسع إلى السادس عشر . فقد اعتاد الغربيون على تسميته « المسحة الأخيرة » أو « آخر الطقوس » .

يؤمن الأقباط أن الروحَ القدس يعملُ خلالَ هذا السرِ ليحققَ البركاتِ التالية :

١ــ انها عبادة ليتورجية ، فيها يوّحد الروحُ القدس الكهنةَ خادمى السر مع عائلة المريض وأصدقائه ليعلنوا محبتهم الصادقةَ نحو المريض . فى هذا السرِ يصيرون أشبه بكنيسةٍ محلية صغيرة ، يقودها الروحُ القدس ، روحُ الحب ، الذى يطلبُ إلى الآب ليعملَ فى حياةِ المريض .

إنه ليس عملُ الكاهنِ وحدِه أن يُصلىَ من أجلِ المتألمين ويساعَدهم بكل طاقته ويشاركهم مشاعرهم ، إنما يجب أن يشتركَ الشعبُ معه فى هذا العملِ وتلك المشاعر .

٢ــ يصلى الكاهنُ والشعبُ من أجلِ شفاءِ المرضى ، ليس فقط جسدياً بل وشفائهم نفسياً وروحياً ، فهم يؤمنون بوحدة الحياة « فى المسيح » ، دون أن

يفصلوا الحياةَ ويقسموها إلى حياةٍ جسمانية وأخرى نفسية وثالثة روحية ، إنما هى حياة واحدة متكاملة ، يقودها الروحُ القدس لتُمارس « فى المسيح » .

٣ـــ نصلى أن يتمَم الله إرادتَه ، وألا ييأسُ المتألمون بل يتقبلون الآلام كشركةٍ فى صليب المسيح .

٤ـــ مما يجدر ملاحظتُه أننا فى هذا السِّر لا نصلى من أجل مريضٍ واحد بعينه ، وإنما نطلب أيضاً من أجل كل المرضى وكل من هم تحتَ الآلام والضيقات وكلِ من هم فى عوز ... عملُ الروحِ القدس هو أن يفتَح قلوبَنا لنحتضنَ كلَ أحدٍ فى المحبة .

٦ـــ الروحُ القدس وسِّرُ الزواج

يمنح الروحُ القدس المؤمنين الشركةَ مع الآب بالمسيح لكى نكون جسداً واحداً فى المسيح ، أى كنيسةً واحدة . والروحُ نفسه يعمل فى سِّرِ الزواج ، واهباً العروسين وحدةً خاصةً فى المسيح . إنه يغيِّر مفهومَ « الزواج » من كونه عقداً إجتماعياً إلى عمل إلهى ، به تصبحُ الأسرةُ الجديدة كنيسةُ المسيح ، كنيسةَ العائلة المقدسة حيث يسكنها المسيح . يقولُ **القديسُ اكليمنضس الإسكندرى**[٩] إن الروحَ ذاته الذى يؤسسُ الكنيسةَ الجامعةَ يؤسس الكنيسة المنزلية . إنه يمنح أعضاءَ الأسرةِ القوةَ للشهادة للحياة الإنجيلية خلالَ حبهم ووحدتهم فى المسيح .

يعمل الروحُ أيضاً فى هذه الكنائسِ المنزلية ، جاذباً الأعضاءَ النشطين إلى كنيسة المسيح ككهنةٍ أو رهبانَ أو راهباتٍ أو كأعضاءِ شعبٍ مقدس .

يوضح الطقسُ القبطى لهذا السِّرِ عملَ الروحِ القدس بكونه روحَ الوحدة والشركة ، إذ يؤكد النقاط التالية :

(أ) عملُ الروحِ القدس هو منح العروسين الوحدة الحقيقية فى المسيح فيصيرا جسداً واحداً .

(ب) كان هذا السِّرُ يُمارس فى الكنيسةِ الأولى قبل اقامةِ قداسِ المؤمنين حتى يشترك العروسانِ معاً مع كل الكنيسة فى جسدِ المسيح . بمعنى آخر ينال العروسان الوحدةَ بواسطةِ ذبيحةِ المسيح ، ليس وحدتهما مع بعضهما البعض

فحسب ، بل ويناﻻنِ أيضاً نوعاً من الوحدة الروحية مع كل جسد المسيح ، أى مع الكنيسة الجامعة .

(جـ) يركّز الطقس على « أكاليل القديسين » و « وليمة العرس السماوى » حتى يتذكر العروسان بأن يكون هدفهما هو ممارسة الحياة السماوية فى بيتهما الجديد ، وأن ينتظرا مجىء العريس السماوى . بمعنى آخر . يهب الروحُ القدس العروسين الوحدةَ مع بعضهما البعض ومع الكنيسة المجاهدة الجامعة ، كما مع الطغمات السماوية فى المسيح يسوع .

+ إذ يوّحدنا الله معاً (يوحّد الرجلَ والمرأةَ فى الزواج) ، لهذا تُعطى نعمةٌ خاصة للذين يتحدان معاً بواسطة الله . عرَّفَ بولس ذلك معلناً مساواةَ طهارة غير المتزوجين (البتوليين) مع المتزوجين حسبَ كلمةِ الله كنعمة مُعطاة لهما (اقتبس أوريجانوس ١ كو ٧ : ٧) . فاللذان يرتبطان معاً بواسطة الله يطيعان بالفكر والعمل الوصيةَ : « أيها الرجال أحبوا نساءكم ... » أف ٥ : ٢٥[١٠] .

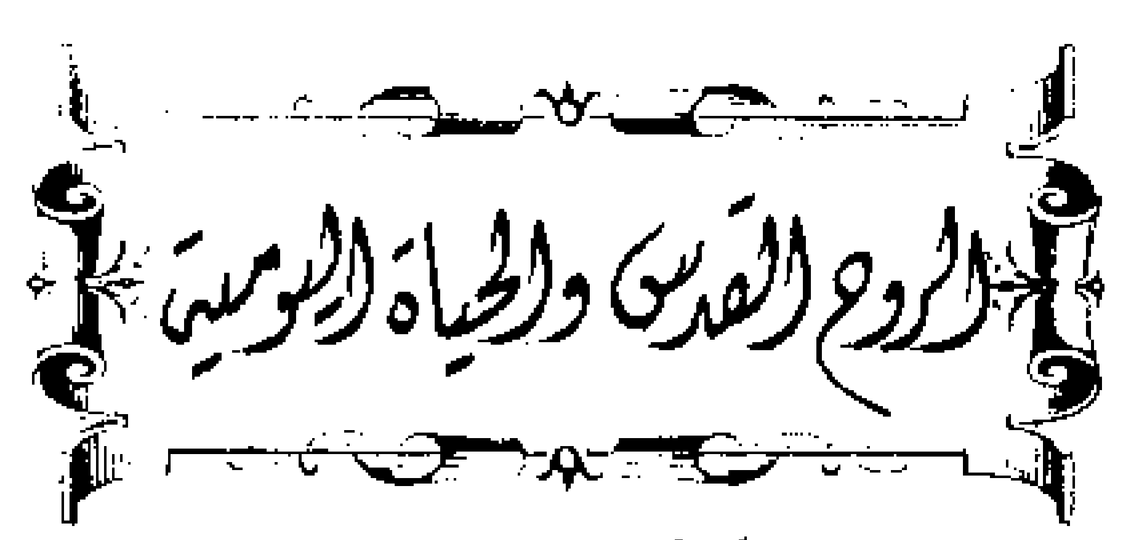
العلامة أوريجانوس

٧ـــ الروح القدس وسِّر الكهنوت

يتقبل المُسامونَ نعمةً خاصة من الروح القدس ، هى نعمة « روح الأبوة » ، بها يخدمون كنيسة الله ، لا بقدراتهم الذاتية بل بالروح القدس ، روح المسيح .

يوّحد الروح القدس الكهنة برئيس الكهنة الأعظم ، الذى وحده يستطيع رعاية جسده ، أى كنيسته .

+ + +



الروح القدس والحياة اليومية

تطَلّع آباءُ الاسكندرية خلالَ أفكارِهم الكتابية (الإنجيلية) وسلوكهم العملى إلى الحياة المسيحية بكونها « الحياة فى المسيح » أو « الحياة الجديدة » التى تتحقق بالروحِ الذى يسكن فى قلوبنا . هذه الحياة لا يمكن تمزيقها إلى أقسام ، بل هى وحدة واحدة يمارسُها المسيحيون فى الكنيسةِ كما فى البيت ، وفى أعمالِهم كما فى أنشطتِهم الإجتماعية الخ ... إنها حياةٌ واحدة يهبها لنا الروحُ القدس الذى يتدخل فى علاقة المسيحى بالله وبالكنيسة وبأعضاءِ أسرتِه وكلِ البشرية والخلائق السماوية والأرضية ، حتى فى علاقته مع جسده . فالروح القدس يقود المؤمنين لإقتناء علاقة أعمق وأوثق مع الله خلال العبادة الروحية واختبار حياة الشركة بالحب العملى ليس فقط نحو المؤمنين بل ونحو كل الجنس البشرى ما أمكن .

كتب سويت H.B. Swete[١] : [يتكلم اكليمنضس عن الروح القدس بصراحة وبصورة رائعة ، مشيراً إلى بعض عباراتٍ من الكتابِ المقدس وإلى حياةِ المسيحى المُعاشة . فيستنتج مما جاء عن بصلئيل بن أورى أنه إمتلأ من روح الله (خر ٣١ : ٢) أن الذوق الفنى والمهارة هما هبة من الله[٢] . الذين جاءوا إلى الإيمان بالروح القدس دعاهم القديسُ بولس « روحيين »[٣] ، لهؤلاء الروحيين مواهب مختلفة . فكما يقول الرسول إن الروحِ يقسم لكل شخص ما يشاء ، أما هو (الروح) فغير منقسم ، كما لو كان كلَ أحدٍ قد أخذ نصيباً من الله[٤] . كثيراً ما يشير اكليمنضس إلى عطيةِ الروح القدس كحقيقةٍ تمسُ الخبرةَ المسيحيةَ . ومع أنه لم يكن مونتانياً Montanist ، لكنهِ يعرف تمامَ المعرفة مكانةَ الروحِ القدس فى حياةِ الانسان ، خاصةً فى الكنيسة .

« الربُ بمحبته للبشرية ، يدعو كلَ الناسِ أن يأتوا إلى معرفةِ الحق ، وهو يرسل الباراكليت بهذا الهدف[٥] » .

« نحن الذين إعتمدنا لنا عينُ الروحِ ، التى بها وحدَها نقدر أن نرى الله ببهاء دون عائق ، نرى الروحَ القدس حالاً علينا من السماء[٦] » .

يخلط الروحُ نفسَه ويوحدها سرياً مع الروح البشرية ، مثل الخمرِ مع الماء ؛ والغنوسى (صاحب المعرفة الروحية) الذى يسعى بشغفٍ ليكون روحياً « يتحد مع الروح بالحب الذى لا يعرف حدوداً[٧] . الروح هو زيتُ المسحة المقدسة يتكون من أطيابٍ سماوية ، يُعده المسيحُ لأصدقائه[٨] . إنه حُلّى الروح ، الذى يكسوها بألوانِ البر المشعة ، والحكمة السماوية ، والشجاعةِ ، وضبطِ النفس ، والإتضاع ، ومحبة كل ما هو صالح ومتواضع[٩] . وكلما كان الانسان « أكثر غنوسية » بحق يصير بالحياة البارة مقترباً إليه بالأكثر ببهاء روح الله[١٠] . كما يجتذب المغناطيسُ الحديدَ هكذا يجذب الروحُ القدس النفسَ إلى الأماكن العلوية أو السفلية حسب سِمات (الانسان) الشخصية ، أما الشر فيسقط إلى الأرض[١١] . الروحُ هو الذهبُ الملوكى الذى باختلاطه بعناصر طبيعتنا يجعل المسيحيين ما هم عليه[١٢] .]

فيما يلى بعضُ الأمثلة عن عملِ الروح القدس فى حياتنا اليومية :

١ـــ الروحُ القدس يهبنا الوحدةَ والحب :

+ يليق بالإخوة أن يسكنوا معاً فى محبةٍ كثيرة ، سواء كانوا يصلون أو يقرأون الأسفار المقدسة أو يمارسون أى نوع من العمل . بهذا تصير الميولُ المتنوعة للمنفعة ؛ فالذين يصلون والذين يقرأون والذين يعملون يمكنهم أن يعيشوا جميعاً فى إخلاص وبساطة بعضهم مع بعض لنفعهم . فماذا كتب ؟ « لتكن مشيئتُك كما فى السماءِ كذلك على الأرض » مت ٦ : ١٠ . فكما أن الملائكةَ فى السماءِ يسكنون معاً بإتفاقٍ عظيمٍ وسلامٍ ومحبة ، ولا يوجد بينهم كبرياء ولا حسد ، إنما يعيشون فى محبة وإخلاص ، هكذا يليق أن يسكن الإخوة معاً . ربما يوجد ثلاثون أخاً تحت تدبير واحد ، لا يمكنهم أن يستمروا كل النهار والليل فى ممارسة شيء واحد . فالبعض يكرسون أنفسهم للصلاة ست ساعات بعدها يرغبون فى القراءة ، وللبعض إستعداد كبير للخدمة ، بينما آخرون يمارسون أى نوع من الأعمال .

مهما يكن الأمر يلزم أن تكون المجموعة فى حب وبشاشة نحو بعضهم البعض . فمن يعمل منهم يقول عن من يصلى : « الكنز الذى يجده أخى هو كنز مشترك ، لذلك فهو كنزى » . وليقل الذى يصلى عمن يقرأ : « إن ما

ينتفع به أخى من القراءة هو لمصلحتى » . ليقل من يعمل : « إن ما أعمله من الخدمة هو لمنفعة الجميع » . كما أن أعضاءَ الجسدِ كثيرةٌ لكن الجسدَ واحد (١ كو ١٢ : ١٢) ، تساعدُ بعضُها البعض ، وكل عضو يؤدى وظيفته الخاصة ، ولكن العينَ تنظر لحسابِ الجسد كلِه ، واليد تعمل لأجل الأعضاء كلها ، والقدم تمشى وتحمل كل الأعضاء ، وإذ يتألم عضو تتألم معه كلُ الأعضاء ، هكذا ينبغى أن يكونَ الإخوة مع بعضهم البعض ، فلا يدين من يصلى ذاك الذى يعمل بسبب عدم حضوره للصلاة . ولا يدين من يعمل ذاك الذى يصلى ، قائلاً : « إنه يستريح وأنا أعمل » . ليته لا يدين من يخدم غيره ، بل ليعمل كلُ أحدٍ عملَه أيًّا كان لمجد الله . ليقْبل الذى يقرأ من يصلى بمحبةٍ ولطف وهو يقول فى نفسه : « انه يذكرنى فى صلاته » فليفكرْ المُصلّى فيمن يعمل هكذا : « إن ما يعمله هو لنفعنا جميعاً » .

هكذا يكون اتفاقٌ عظيم وسلامٌ ووحدانية فى رباطِ السلام (أف ٤ : ٣) يربطهم جميعاً ، فيستطيعوا أن يعيشوا معاً فى إخلاصٍ وبساطةٍ وفى نعمة الله . بلا شك الأمرُ الرئيسى هو المداومة على الصلاة . وهناك أمرٌ واحد لازم (للكل) وهو أن يكونَ للانسانِ كنزٌ فى داخل نفسه ، وتكون له الحياة فى عقله التى هى الرب نفسه ؛ سواء كان يعمل أو يصلى أو يقرأ ؛ **عليه أن يقتنى ذاك الذى لا يزول ، الذى هو الروح القدس**[١٣] .

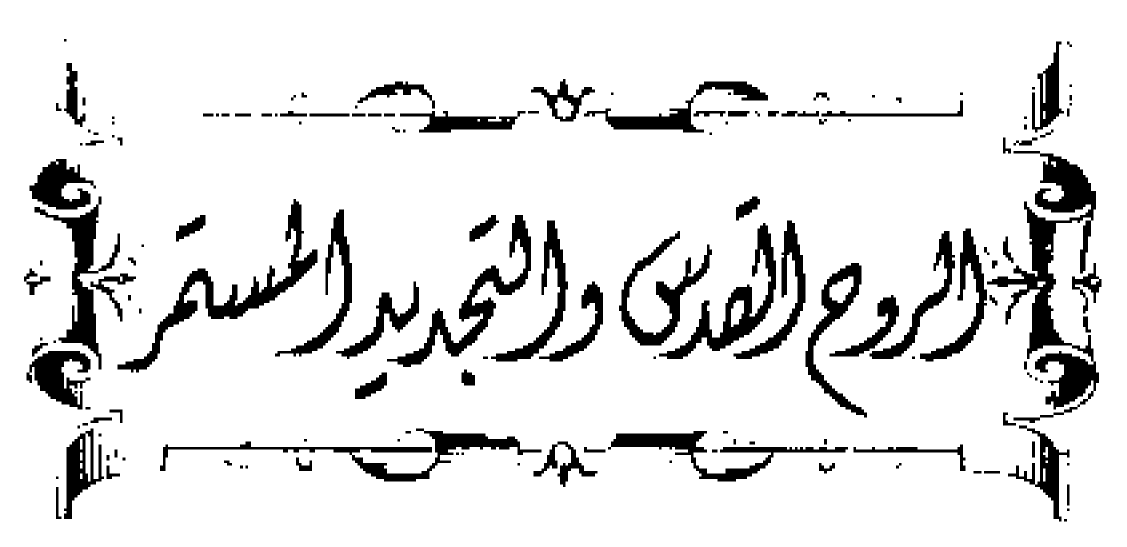
القديس مقاريوس الكبير

٢ــ الروحُ القدس يمنحنا العزاء خلال الضيقات

+ إنها ليست للجميع ، بل لبولس ومن على شاكلته ، تصبح هذه الضيقات الحالية خفيفة وعابرة ، إذ لهم برّ الله الكامل فى المسيح يسوع يفيض من قلوبهم بالروح القدس (رو ٥ : ٥) ، « لأن محبةَ الله قد إنسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا »[١٤] .

العلامة أوريجانوس

+ + +



التجديدُ الكنسى

فى نوفمبر ١٩٨٠ ناقشتْ الأسرُ الثلاثُ المسيحية : الكنائسُ الأرثوذكسية غيرُ الخلقيدونية ، الكنائسُ الأرثوذكسية الخلقيدونية ، والبروتستانت ، موضوعَ « التجديد الكنسى » .

وقد رفضَ بعضُ اللاهوتيين الأرثوذكس مثل المطران جورج خضر بلبنان تعبيرَ « تجديد الكنيسة » بسبب ما يتضمنه التعبيرُ فى اللغةِ الانجليزية ، وللسببين التاليين :

١ــ الكنيسةُ فى جوهرِها هى حياةُ جديدة ، لا تحتاج إلى تجديد ، إنما يلزمها أن تعمل على تجديد العالم حتى يستعيدَ مجدهَ الأصلى الذى فقده .

٢ــ يرفضُ بعضُ اللاهوتيين هذا التعبيرَ ، لأنه يعنى أحياناً الثورةَ على كل ما يخص الماضى لكى نبدأ من جديد .

وقال نيافةُ الأنبا غريغوريوس بمصر إنه على استعداد لقبول هذا التعبير بشرط أن نميِّز بين التعبيرات التالية :

(أ) تجديد الروح القدس الذى يتم فى المعمودية حيث ننال التبنى لله الآب خلال عملِ المسيح الخلاصى .

(ب) تجديدُ الذهن الذى يتحققُ بالتوبة ؛ وهنا يجب أن نميِّزَ بين التوبةِ التى تتحقق بتغييرِ كلِ حياتنا الماضية والتوبةِ اليومية عن ضعفاتنا التى تقدم لنا مواهبَ جديدة كل يوم .

(جـ) تجديد شامل للخليقة فى اليوم الأخير (رؤ ٢١ : ١) .

(د) تجديدُ الكنيسة بمعني نموِّها المستمر ، فالكنيسةُ حيةٌ ، يدوم فيها الروحُ القدس عاملاً لنموها . بمعنى آخر إنها ليست جامدة ، لكنها دائمة الحركة بقوة الروح الذى فيها .

الروح الدائم العمل

فى يومِ الخمسين ، تأسست الكنيسةُ بحلولِ الروح القدس على تلاميذ السيد المسيح . كان ذلك يوم ميلادها ، إذ وهبها الروح القدس الوجود ، ساكناً فى حياتها ، عاملاً بلا توقف لبنائها . بأكثر تفصيل يمكننا أن نشرح عملَ الروح لحساب الكنيسة ودوام تجديدها فى النقاط التالية :

١ــ سبق أن أوضحتُ فى كتاب : « الأرثوذكسية والتقليد » أن الكنيسةَ كحياةٍ جديدة فى المسيح تستلمُ من الروح القدس خبراتٍ جديدةً ، لا باحتقارِ القديم وتغييره إلى ما هو حديث ، بل بالحرى خلال اتكاءِ حياتِها الحاضرة وخبراتها الحالية على صدر الخبرات القديمة ، فيبقى القديم حيّاً خلالَ الحاضر ، وتستند الخبراتُ الحاضرة على أصالة القديم .

بمعنى آخر ، التجديد ليس ثورةً ضد كلِ ما هو قديم ، لكنه نمّو روحى يومى فى المسيحِ يسوعَ لنوالِ « نعمة فوق نعمة » يو ١ : ١٦ ، حتى نبلغَ إلى « إنسانٍ كامل ، إلى قياس قامة ملء المسيح » أف ٤ : ١٣ .

٢ــ يحل الروحُ القدسِ فى الكنيسة كما لو كان روحَها ، كما يحل فى نفس الوقت فى نفوس المؤمنين كأعضاءَ فى الكنيسة ، مهتماً بكل مؤمن خلال علاقةٍ شخصية عميقة . لهذا فالتجديد أو النمو الكنسى يتحقق جنباً إلى جنب مع تجديد الأشخاص ونموهم .

فى الكنيسةِ الأرثوذكسية لا يتحقق التجديدُ الروحى خلالَ « الفردية » ، وإنما خلال حركةٍ متكاملة فى الكنيسة ككل ، تشمل كلَ عضوٍ فيها ، دون مغالاة فى جانب على حساب جانب آخر . فالكنيسةُ هى جسدُ المسيح ، وكلُ مؤمنٍ هو عضوٌ فى هذا الجسد له دورُه الحيوى فى الكنيسةِ ، بغَّضِ النظر عن سِنه أو جنسه أو وظيفته أو تعليمه أو قدراتِه الخ ... خلال الكنيسة يتقبل المؤمنُ تجديدَه أو نموَه المستمرَ فى الروحِ القدِس ، وخلال النمو الشخصَى لكل عضوٍ تنمَو الكنيسةُ فى الروح . فالجسدُ لا يقدر أن يحتقر أيّاً من أعضائه ، وكل عضوٍ لا وجودَ له خارج الجسد .

الآن يمكننا القولُ بان تجديدَ الكنيسةِ الحقيقي يعّمق وحدةَ المؤمنين ، ليس فقط مع الآب بالابن فى الروح القدس ، وإنما أيضاً خلالَ وحدةِ العضو مع إخوته فى كنيسة الله الواحدة ، فيتمتع بعلاقةٍ شخصية لا يُنطق بها مع الله بواسطةِ كنيسته الواحدة .

٣ــ فى سرِّ المعموديةِ والميرون نتقبل عطية الروحِ المجانية ، إذ نولد ثانية فى الروح ، وتتجدد طبيعتنا ؛ لكننا نحتاج إلى نموٍ فى الروح وإلا صار ميلادُنا الجديد بلا جدوى ونُحسب أمواتاً . إنه عملُ الروحِ القدس غير المتوقف لتجديد حياتنا ، إن قبلناه خلال جديتنا فى الحياة الروحية .

+ فكّر فى الخمس عذارى الحكيمات اللوائى كن ساهراتٍ ، وقد أُخذن فى أوعيةِ قلوبهن ذلك الذى لم يكن جزءاً من طبيعتهن ، وهو الزيت ، الذى يعنى نعمةَ الروحِ الذى من فوق . بهذا تمّكن من الدخول مع العريس إلى الحجال السماوى . ومن الجانب الآخر ، إذ كانت العذارى الجاهلاتُ قانعاتٍ بطبيعتهن الخاصة لم يردن أن يتيقظن وأن يشغلن أنفسهن بقبول « زيت البهجة » مز ٤٥ : ٧ فى آنيتهن بينما كن فى الجسد بل استغرقن فى نوم الغفلة والاهمال والكسل والجهل ، أو لإدعائهن البر ، ولذلك أُغلق أمامهن حجال الملكوت ، إذ لم يتمكّن من ارضاء العريس السماوى . إذ كن متمسكاتٍ برباطاتِ العالم والمحبة الأرضية لم يعطين حبَهن كله وعواطفهن الحارة للعريس السماوى ، ولم يُزودن بالزيت .

فالنفوس التى تطلب تقديس الروح الذى هو من خارج طبيعتها ، تثبّت كل عواطفها فى الرب وتسير فيه ، وفيه تصلى ، وبه تنشغل أفكارها تاركةً كلَ ما هو سواه . لهذا السبب يُحسبون مستحقين نوال زيت النعمة السماوية ، وينجحون فى عبور هذه الحياة دون سقوط ، مقدمين إشباعاً للعريس السماوى . أما النفوس التى تقنع بما لطبيعتها الخاصة فقط فإنها تزحف على الأرض وتنشغل أفكارُها بالأرض ، ويكون عقلُها بكلِ كيانه على الأرض . تحسب نفسها انها (من) خاصة العريس ، وتتزين بفرائض الجسد ، دون أن تولدَ من الروح القدس من فوق أو تنالَ زيت البهجة(٢) .

+ شيء واحد غريب عن طبيعتنا هو كارثةُ الأهواء ، تقبلناه فينا بمعصيةِ الانسان الأول ، وقد اتخذ مكانه كأنه جزءُ من طبيعتنا بطولِ العادة والميل ، هذا يجب طرده بواسطة غريبٍ آخر عن طبيعتنا ، أى عطيةِ الروح السماوى ، حتى نستعيدَ نقاوتنا الأصلية . فإن لم نحصل الآن على حب الروح من السماء بالتضرع الكثير والتوسل والإيمان والصلاة والتحول عن العالم ، وإن لم تلتصق طبيعتنا ــ التى تلوثت بالشر ــ بالحب الذى هو الرب ، وتتقدس بحب الروح ، وإن لم نثبت إلى النهاية غير ساقطين ، سالكين بتدقيق فى كل وصاياه ، لا يمكننا بلوغ ملكوت السموات[٣] .

+ مثلُ هذه النفوس التى تحبُ الربَ حباً حاراً لا ينطفىء تستحق الحياةَ الأبدية ، لهذا السبب تتمتع بالتحرر من الشهوات ، وتنال الاشراقَ الكاملَ للروح القدس ، وحضوره الفائق الوصف ، والشركة السرية معه فى ملء النعمة . توجد نفوس كثيرة ضعيفة ومتراخية ، لا تطلب وهى هنا على الأرض فى الجسد أن تنال بالصبر وطول الأناه تقديس القلب تقديساً كاملاً ، لا جزئياً ، ولا تترجى قط أن تكون لها شركة كاملة فى الروح الباراكليت بكل ثقة ويقين ، وبكل إحساس واعٍ ، ولا تتوقع قط أنها تتحرر من أهواء الشر بالروح ، أو ربما تكون بعد أن نالت نعمةَ الله مرةً قد انخدعت بالخطية واسلمت ذاتها للإهمال والتراخى . هؤلاء (هذه النفوس) إذ نالوا عطية الروح ، وحصلوا على بعض عزاء النعمة وحلاوة الروحانية ، يتكلون على هذا وينتفخون ؛ فيصبحوا مهملين ، ويفقدوا انسحاقَ القلب واتضاعَ الفكر . هؤلاء لم يبلغوا إلى كمال التحرر من الأهواء ولا انتظروا مجاهدين فى سهرٍ بإيمانٍ حتى يمتلئوا تماماً بالنعمة . إنهم يشعرون بالإكتفاء ، ويخلدون إلى الراحة ، قانعين بالعزاء القليل الذى نالوه من النعمة . أما النتيجة فهى الكبرياء عوض الإتضاع ، وفى النهاية يتجردون من كل نعمة وُهبت لهم ، بسبب ازدرائهم واهمالهم ، وبسبب خداعهم لأنفسهم فى كبرياء باطل .

النفسُ التى تحب الله والمسيحَ بالحقيقة ، إن عملت ربواتٍ من أعمال البر ، تحسبُ نفسَها لم تعمل شيئاً ، وذلك بسبب شوقها الشديد نحو الله . وبالرغم من أنها قد ترهق جسدَها بالأصوامِ والأسهارِ إلا أنها تتطلعُ إلى

الفضائل كما لو أنها لم تكن قد بدأت بعد فى العملِ والجهاد من أجلها . وبالرغم من أنها تنعَم بمواهب الروحِ المتنوعة والرؤى والأسرار السماوية إلا أنها تشعر فى نفسها أنها لم تنل بعد شيئاً من هذا كله ، وذلك بسبب حبِها غيرِ المحدود ولا منطفىء نحو الرب .

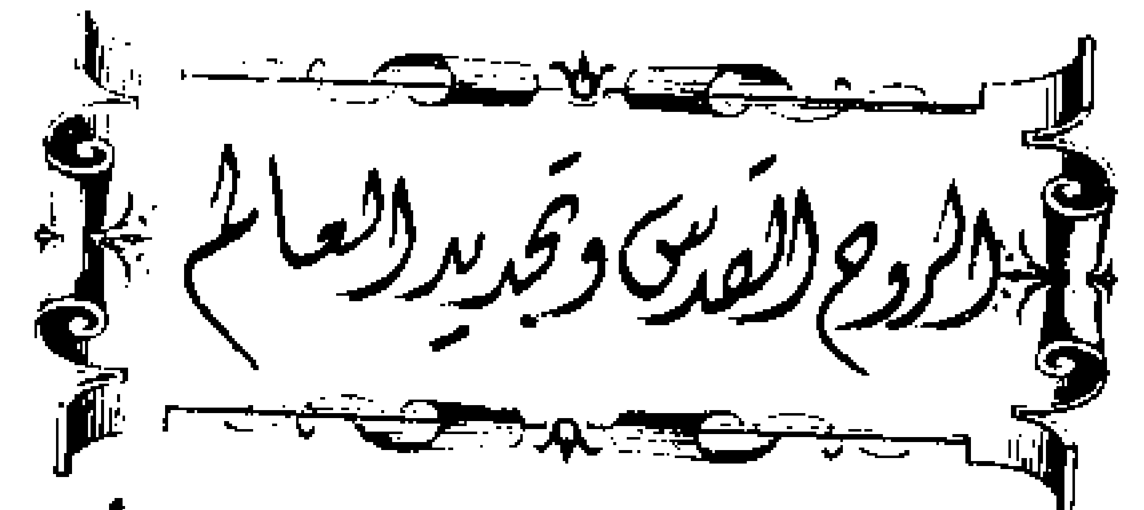
تجوع وتعطش بالإيمان والحب نحو الله ، مثابرة فى الصلاة ، وهى تستمر فى شوقٍ حار نحو أسرار النعمة ولتتميم كل فضيلة . إنها تُجرح بحب الروح السماوى حباً حاراً ، يحرك دوماً داخل النفس بالنعمة الشوق الشديد نحو العريس السماوى ، مشتاقةً أن تدخل إلى الشركة السرية الفائقة الوصف دخولاً كاملاً بتقديس الروح .

يُنزع البرقعُ عن وجه النفس فتحدق فى العريسِ السماوى وجهاً لوجه فى النور الروحي الذى لا يُعبر عنه . وتختلط به بملء الثقة وتتشبه بموته ... متطلعةً بثقةٍ كاملة أنها تنال بالروح تحرراً كاملاً من الخطية ومن ظلمةِ الأهواء ، حتى إذا ما اغتسلت بالروح ، وتقدسَّت فى النفس والجسد ، يُسمح لها حينئذ أن تصيرَ إناءً طاهراً يتقبل المسحةَ السماوية ويخدم المسيح ، الملك الحقيقى ، وعندئذ تستحق الحياة الأبدية ، إذ صارت منذ ذلك الحين مسكناً طاهراً للروح القدس .

لا تصل النفس إلى هذه المقاييس مرة واحدة ولا بدون تعب[٤] .

القديس مقاريوس الكبير

+ + +



عانت الكنيسةُ القبطية الأرثوذكسية الكثيرَ منذ القرن الأول الميلادى . وبالرغم من توقعها لإحتقار العالم لها واضطهاده إياها ، لكنها تحب العالم . إنها تؤمن بالروح القدس الساكن فيها أنه يفتح قلبَها لتحب كلَ شخصٍ حتى من يضطهدها ، **فهي** تعيش على رجاء أن روحَ المسيح يعمل على تجديد العالم ، لذلك نرنم قائلين : « للرب الأرض وملؤها » .

يمكننا إدراك المفاهيم الكتابية لعمل الروح القدس فى العالم من المثالين التاليين :

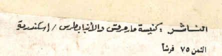
(أ) عندما كتب **الفيلسوف أثيناغوراس** عميدُ مدرسةِ الاسكندرية « التماسَه » أو « شفاعَته » إلى الإمبراطورين الرومانيين ماركوس أوريليوس أنطونيوس (١٦١ــ١٨٠ م) وابنه شريكه فى الحكم لوسيوس أوريليوس كومودوس ، فنّد الإتهامات الموجهة ضد المسيحيين ، مستخدماً إقتباساتٍ من الشعراء والفلاسفة ، لكنه تخطّى الدفاعَ إلى تبشير الإمبراطورين بطريقٍ غير مباشر . فقد تكلم برقة عن الفلسفة بالرغم من توضيحه للخلافات بين الفلاسفة ، مقارناً إياهم بالأنبياء المسوقين بالروح الذين تكلموا عن الله باتفاق[١] . لقد مدح الإمبراطورين لحماسهما العظيم للمعرفة ، سائلاً إياهم بطريقةغير مباشرة أن ينصتا إلى كلماتِ الأنبياء[٢] . بمعنى آخر « التماسه » هذا كان « عظة » أكثر منه « دفاعاً » . يمكننا القول بأن الكنيسة لم تكن مهتمة بمقاومة العالم الذى كان يبغضها ، ولا كانت مهتمة بتفنيد الاتهامات الموجهة ضدها ، بل بالأكثر كانت تهتم بالكرازة بالكلمة بكل حب مخلص ، واثقة أن الروح القدس هو الذى يعمل على خلاص كل جسد وعلى تجديد العالم .

(ب) هذا المفهومُ واضح تماماً فى كتابات **القديس اكليمنضس الاسكندرى** الذى لم يكن فى عداوة مع الفلسفة ، إنما كان ينظر إليها كعطيةٍ إلهية[٣] ؛ تحمل جزءاً من الحق ، يمكن أن يمهد الطريق للسيد المسيح[٤] . كان هدف القديس اكليمنضس أن يكسب الفلاسفة بالحب ، واثقاً فى قوة نعمة الروح القدس .

+ + +

فهــرس

صفحة



الناشر : كنيسة مارمرقس والأنبا بطرس / إسكندرية

الثمن ٧٥ قرشاً